كتاب الكبائر

لشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهاب

شرح الأستاذة

أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهرلكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفرالله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

فهرس الجزء السادس

كتاب الكبائر

لشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهاب

اللّقاء السّادس والعشرون _____ ٤

اللّقاء السّابع والعشرون _____ ٣٧

اللّقاء الثّامن والعشرون _____ ٧١

اللّقاء التّاسع والعشرون _____ ٩٥

اللّقاء الثّلاثون _____ ١٢٥

اللّقاء السّادس والعشرون

٢١ رجب ١٤٤٠

باب العداوة والبغضاء

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه، أن يجعلها ساعة مباركة علينا، وأن يجعلنا ممّن قيل لهم: (قوموا مغفورًا لكم)، اللّهمّ آمين.

لازلنا نتكلّم عن الكبائر وقد كرّرنا المصلحة من دراسة هذه الكبائر، نبدأ اليوم في هذه الكبيرة الجديدة، **وهي: "كبيرة العداوة والبغضاء"**.

التّعليق على دليل موطن الشّورى (٢٠) وبيان أنّ حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة

قال الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتابه الكبائر: (**باب العداوة والبغضاء:** وقولهِ تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى

اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[1] وقالَ الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾[2].)

أوّلًا: اسم هذه الكبيرة "**كبيرة العداوة والبغضاء**"، وهذه الكبيرة تحت نوع "**الكبائر القلبيّة**".

و"**الكبائر القلبيّة**" **هي**: الكبائر الّتي يكون مكانها القلب؛ وأيّ شيء في القلب لابدّ أن يظهر له أثر على الجوارح، لكن تبدأ تكون كبيرة بمجرّد كونها موجودة في قلب الإنسان.

اسم الكبيرة الماضية كان: "**إرادة العلوّ**"، وقد ورد في الكبيرة الماضية حديثان يمنعاننا من "**إرادة العلوّ**"، ويمنعاننا أيضًا من "**العداوة والبغضاء**".

وتذكرن آخر حديثين مضيا، وهما يفتحان علينا هذا الباب:

قول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: «لا يُؤمنُ أحدكم حتَّى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسهِ»، هذه القاعدة المهمّة جدًّا في النّفس الإنسانيّة تمنع أن يكون في القلب بغضًا للمؤمنين؛ فهذه الكبيرة عكسها، **الّتي هي**: "**كبيرة العداوة والبغضاء**".

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الممتحنة: ٤.

سنذكر أربعة أمور، تتفرّع من أمر واحد هو السّبب الرّئيس لوقوع: **"العداوة والبغضاء"**:

أمّا السّبب الرّئيس فهو: حبّ الدّنيا. فإنّ حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة. فأيّ خطيئة ستتكلّمين عنها رأسها حبّ الدّنيا، وإذا وقع في قلب الإنسان حبّ الدّنيا توقّعي أن يقع منه بقيّة الخطايا وبقيّة الكبائر. والعلوّ في الكبيرة الماضية ما كان سببه إلّا حبّ الدّنيا وقارون ما علا على قومه إلّا بسبب الدّنيا، فهذه هي الكبيرة الأساسيّة، أو على الأصحّ **نقول**: هذا هو الخطأ الأساسي، هذه هي المشكلة الأساسيّة؛ ومن ثمّ يتتابع بعدها بقيّة الكبائر، أو تحصل بسببها جميع الآثام.

فحبّ الدّنيا الآن سيأتي تحته هذه الأمور الأربعة:

الأمر الأوّل: ما دام الإنسان يحبّ الدّنيا؛ **إذًا**: يحبّ أن يُحصّل مصالحه في الدّنيا، حتّى لو كانت مصالحه هذه تعني خُسران غيره المصالح؛ لأنّه يحبّ الدّنيا، ولا يفكّر في الآخرة، فماذا يهمّه؟ تهمّه مصالحه.

ولكن كلّ النّاس تهمّهم مصالحهم **نقول**: نعم، هو يهمّه مصالح الدّنيا، وإذا كانت مصالح الدّنيا قد تُعارض مصالح غيره، فيطلب مصالحه على مصالح غيره

ولذلك الله -عزّ وجلّ- جعل النّاس نوعين:

النّوع الأوّل: نوع يريد حرث الآخرة: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أوّلا، ماذا يفعل له؟ ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾.

النّوع الثّاني: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾[1].

إذًا معنى ذلك: أنّ النّاس ينقسمون إلى قسمين. وهم في الدّنيا بسبب حبّ الدّنيا يكونون لا يريدون إلّا حرث الدّنيا لكن الّذي يريد حرث الآخرة سيكون حاله مختلفًا؛ وسنقف عند هذه الأولى. يعني الآن حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة، يترتّب عليه أنّ الإنسان مادام أنّه يحبّ الدّنيا سيبقى يحرث ويحرث من أجلها حتّى لو كان حرثه هذا يُسبّب قلع حرث غيره، فلا يهمّه لذلك تأتي بعد ذلك **"العداوة والبغضاء"**

هذه الآية في سورة الشّورى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أوّلًا، وبعد ذلك: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾، **ستفهّمنا**: ثلاثة أمور.

الآن الكبيرة اسمها: **"العداوة والبغضاء"**، من أين تأتي **"العداوة والبغضاء"**؟ رأسها حبّ الدّنيا، لماذا يأتي حبّ الدّنيا بالعداوة والبغضاء؟

لأنّ الإنسان حين يحبّ الدّنيا؛ لا يكون همّه إلّا حرث الدّنيا **في مقابل**: أنّ الّذي يريد الآخرة سيكون همّه حرث الآخرة. **دعنا نستفيد:** من ثلاث كلمات في الآية:

---

(١) الشورى: ٢٠.

﴿يُرِيدُ﴾، هذه قد مرّت علينا المرّة الماضية. فالآية هنا الآن:

- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾: ﴿نَزِد﴾.
- ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾: ﴿نُؤْتِهِ﴾.

إذًا: شخص ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾، وشخص ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾.

إذًا: نفس النّتيجة الّتي خرجنا بها المرّة الماضية: أنّ الإنسان يُسمَّى ويُلقَّبُ بإرادته. أنت ما هي إرادتك قبل أن تخرجي للعمل، قبل أن نُسمّيك: "مؤمنة"، "صالحة"، "تقيّة"؟ **دعنا نرى**: أوّل شيء: ما هي إراداتنا؟ فالمرّة الماضية ونحن نقرأ في قارون: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[1]؛ لأنّهم يريدون الحياة الدّنيا؛ ربّنا سمّاهم وصنّفهم بهذه الطّريقة. **وهنا أيضًا**: يريدون حرث الآخرة، ويريدون حرث الدّنيا؛ **إذًا**: أوّل شيء الإنسان في قلبه إرادة، فإذا كان يريد الدّنيا سيصير في قلبه عداوة لمن ينافسه فيها، فمن أين تأتي العداوة والبغضاء؟ من حبّ الدّنيا، كيف؟ أوّل الأمر وقبل أن نصل إلى أرض الواقع؛ حين أكون أريد الدّنيا؛ لابدّ أن يكون هناك من ينافسني في إرادة الدّنيا فتحصل عداوة وبغضاء، لمن؟ للّذي ينافسني في الإرادة، فلازلنا لم نأتِ بعد للحرث. هذه الكلمة الأولى.

---

(١) القصص: ٧٩.

إذًا: أنت ستكتبين جملتين تحت النّقطة الأولى: النّاس ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأوّل: ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾.

القسم الثّاني: ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾.

عند من تأتي **"العداوة والبغضاء"**؟ هل عند الّذي ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾؟ لا وإنّما عند الّذي ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾.

أين ستأتي **"العداوة والبغضاء"**؟

الأمر الأوّل: أوّلًا مجرّد إرادة الدّنيا، يعني: أنا أريد الدّنيا؛ سيزاحمني الّذي يريد الدّنيا مثلي تصوّري: الدّنيا مثل: اللّقمة، لو أنا أريدها الآن، وأرى العيون إذا كانت تريدها؛ إذًا: ماذا سيحصل؟ قبل أن أمدّ يدي سأبغض الّذي ينافسني فيها تصوّري مثلًا: جاء بيتكنّ أكل تحبّينه، أوّل شيء تفكّرين فيه، من يشاركك محبّة هذا الأكل؟ وهذا الّذي سيصير: أنّك تريدين أن تبعديه عن الأكل، ولا تريدين أن تخبريه بأنّ الأكل قد وصل لماذا؟ لأنّه يشاركك فيه، يشاركك في محبّته. فهذا ونحن لم نمدّ أيدينا بعد إلى الأكل فأنت تصوّري: الدّنيا مثل هذا

الأمر الثّاني: لاحظي: التّعبير القرآني: ﴿حَرْثَ﴾: ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾، ﴿حَرْثَ الدُّنْيَا﴾، كيف يأتي الحرث؟ بالزراعة، يعني: سيصير هناك جهد وعناية ومشقّة وسيشقّون الأرض، ويضعون البذور ويراعونها؛

كلّ هذا حين يكون للدّنيا، والإنسان يبذل كلّ جهوده في الدّنيا؛ لو وجد أحدًا ينافسه فيها؛ سيجتهد في أن يقلع حرثه بسبب أنّ حرث الثّاني يمكن أن يضرّ بحرثه يعني: النّاس حين يحبّون الدّنيا، والدّنيا كأنّها قطعة أرض واحدة، حين أحرث وأتعب، وأصنع وأفعل، وبعد ذلك أجد أحدًا أحسن منّي وأفضل منّي في نفس هذا الموضوع، ماذا أتمنّى له؟ هل أن يكمل ويتقدّم؟ لا وإنّما لأنّني أحبّ الدّنيا أتمنّى أن يزول

فصاحب الحرث يرجو ألّا يشاركه أحد في هذا الحرث، فتحصل عداوة بعد الاجتهاد؛ بل ويمكن أن يحرث حرثًا يُفسد به حرث غيره، حتّى لا يشاركه أحد الدّنيا وهذا الّذي يحصل في المكر، النّاس حين يحبّون الدّنيا يمكرون حتّى لا تصلي أنت لشيء من الدّنيا

مثلًا: تجدين عليها ملبسًا جيّدًا، أو على طفلها، وحين تسألينها: (من أين؟)، تلفّ وتدور فقط من أجل أن لا تقول لك أين هذا المكان ولأنّه **مثلًا** رخيص ولأجل أن لا تشاركيها ولأجل أن لا تلبسي مثلها ولأجل...وهذا كلّه من أجل خرقة! نعم، من أجل خرقة ستلبسها يمكن أن يظهر منها هذا كلّه فلأنّها الدّنيا تشعر بأنّها هي الّتي تعبت ودارت وبحثت عن المكان وعرفته وخرج ذوقها وكلّ هذا وبعد ذلك تأتين أنت تأخذينه باردًا جاهزًا!

فانظري: كيف أنّها أشياء تافهة جدًّا لكن هي الدّنيا من أوّلها لآخرها تافهة نعم ففي النهاية الدّنيا كلّها تافهة يعني: ما كان ثمنه عشرة، مثل الّذي ثمنه مائة، مثل الّذي ثمنه ألفًا، مثل الّذي ثمنه مليونًا كلّها مجرّد ورق لا يساوي شيئًا المعنى: أن الّذي يكون في نفسه هذا الشّيء على التّافه، سيصير في نفسه أضعافه على الأكبر إذا كان على التّافه فهذا موقفه.

الشاهد: أنّه إذا كانت النّفس فيها إرادة للدّنيا؛ حاربت كلّ مريد للدّنيا، فكلّ أحد يريد الدّنيا معك ستحاربينه مباشرة وإذا ما صار في صفّك يخدمك ستحاربينه مباشرة.

والأمر الثّاني: أنّ هذا الحرث الّذي سيبذل فيه الإنسان جهده، يخاف أنّ أحدًا يقع عليه؛ فلذلك فإنّه يُبْعِدِ النّاس عن حرثه وجهده وسيكون مستعدًّا لأن يفسد حرث غيره ليصلح حرثه مادام أنّ المسألة دنيا.

يأتي الأمر الثّالث، المتسبب في أن حبّ الدّنيا يأتي بالعداوة والبغضاء: الله -عزّ وجلّ- قال:

⇐ لمن أراد ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾: ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾.

⇐ والّذي أراد ﴿حَرْثَ الدُّنْيَا﴾: ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾.

فهذا الّذي أراد ﴿حَرْثَ الدُّنْيَا﴾، كلّ تفكيره أن يجد أثر عمله وحرثه هنا في الدّنيا؛ ومن ثمّ يكون شديد الحرص على ظهوره وعلى ألّا يشاركه أحد فيه؛ ولذلك ربّنا قال: ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ هنا في الدّنيا.

سيظهر هذا المعنى أكثر لو قابلته بالثّاني الّذي ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾. فالّذي ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾، لو كان صادقًا في إرادة ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾؛ ما يُعادي أحدًا أبدًا، ما يجد في نفسه عداوة. وسيتبيّن لنا الآن.

أوّلًا: إذا ﴿كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾؛ سيحبّ كلّ مريد لحرث الآخرة. وأسألكم الآن: لو انضممتنّ لمكان تتعلّمن فيه، حتّى لو لم يعرف بعضكنّ بعضًا، وأنتنّ صادقات في إرادة حرث الآخرة، ألستنّ تجدن الناس في المكان الّذي يريد النّاس فيه حرث الآخرة بالنّسبة لكنّ كأنّهم الأهل والنّاس والودّ وكلّ شيء؟ بلى، يعني: الإنسان حين ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾؛ يحبّ كلّ من ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾، في مقابل: الّذي ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾؛ سيبغض كلّ من يشاركه في ﴿حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ فهذا هو الأمر الأوّل.

الأمر الثّاني: الإنسان حين يحرث للآخرة يجد إخوانه وأحبابه وأقربائه مكانًا لحرث الآخرة، يعني: لن يُعاديهم. هناك يجد أنّه لو حرث فإنّه لا يريد أن يشاركه الثّاني الحرث ولا يكتشف كيف حرث ومستعدّ

كذلك لأن يفسد حرثه لأجل أن يصلح حرثه هو هذا لو كان يريد الدّنيا.

أمّا إذا أراد الآخرة يعلم أنّ أيّ أحد يهتدي على يديه، أيّ أحد يقول له كلمة طيّبة، أيّ أحد يرشده، إلى آخره من أبواب الخير، أيّ أحد يكرمه؛ كلّ هذا إذا أراد به الآخرة فإنّ الله زاد له فيه.

فإذًا معنى ذلك: أن النّاس تكون حول مُريد ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾؛ لأنّه فرصة ويحبّهم، والّذي يأتي يطلب منه تعليمًا فإنّه يعلّمه وهو فرحان بأنّه سيكون في ميزانه. لا أن يقول له: (هذا سرّ المهنة ولن أخبرك) لن يقول له ذلك، بالعكس وإنّما سيقول له: (تعال وأنا أفعل ما أستطيع، تعال أرشدك إلى المكان)، ويعرف أنّ كلّ فعل من أفعاله سيُكتب له أجره، وسيُكتب للثّاني أجره بدون ما يُنقَص من أجر الفاعل شيئًا، وفي الحديث أنّه «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[1]، من غير أن يُنقص من أجر فاعله شيئًا؛ فهذا كلّه يجعل ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ مكانًا للمحبّة، وليس مكانًا للعداوة.

والأمر الرابع الأخير المهمّ جدًا: أنّ هذا الّذي ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾، لا يفكّر في الدّنيا، فهو ينتظر أن يجد النّتائج عند ربّ العالمين، سائرًا هنا وسائرًا هنا، لا يعادي أحدًا، ولا ينافس أحدًا، ولا يخاصم أحدًا؛ وإنّما

(١) أخرجه مسلم (٣٦٢٠).

بالعكس يرى أنّ النّاس الّذين حوله مجال لحرث الآخرة، فيفعل هنا وينتظر هناك.

الثّاني، كلّ تفكيره هنا ولو حصلت له خسارة؛ يبحث عن أحد يضع فيه إثم هذه الخسارة ويرى أنّ النّاس حسدوه وأنّ النّاس ضربوه وأنّهم خسّروه؛ فتحصل له عداوات **في مقابل**: أنّ الّذي ﴿**يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ**﴾، يعرف أنّ القضيّة ليست هنا؛ وإنّما سيجدها عند ربّ العالمين، مطمئنًّا تمامًا أنّ كلّ أحد يشاركه في حرث الآخرة، سيكون له أجره، وأنّ الله -عزّ وجلّ- سيزيد له.

فالمقصد الآن: أنّه ما الّذي يأتي لنا بالعداوات؟ حبّ الدّنيا وإرادة حرثها وإرادة التّميّز فيها؛ ولذلك هي مباشرة بعد العلوّ والتّنافس عليها وكلّ شيء نريده هنا في الدّنيا!

ممكن أن تقولي لي: (هذا وجدته حتّى في مدرسة التّحفيظ وحتّى في حلقات العلم)، نحن لم نقل مكانًا معيّنًا لن تجدي فيه عداوة؛ **وإنّما نحن قلنا**: إرادة معيّنة. فممكن أن يكون الإنسان في مدرسة تحفيظ، أو يكون في حلقة علم، أو يكون في أيّ مكان ربّنا أثنى عليها، لكن لا يريد حرث الآخرة فيحوّل هذه الأماكن إلى نوع من أنواع حرث الدّنيا فلا توجد أماكن معيّنة لا تجدين فيها عداوات؛ وإنّما هناك إرادات معيّنة لا تجدين فيها عداوات، من الّذي لن يكون في قلبه عداوة؟ الّذي ﴿**يُرِيدُ**

﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾، حتّى لو أخطأ في حقّه من أخطأ، حتّى تعديله للمخطئ مبنيّ على أنّه ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾، حتّى التّصحيح يكون لإرادة حرث الآخرة، فكلّ النّاس يحصل منهم الخطأ، لكن هذا فاهم ما هي إرادته، فكلّما ابتعد عن إرادته يعود مرّة أخرى.

إذًا هذا السّبب الرّئيسي: الّذي هو حبّ الدّنيا. ويظهر حبّ الدّنيا في إرادتك، ماذا تريدين؟ إذا كنت تريدين الدّنيا؛ فإنّك ستنافسين عليها، وتضاربين عليها، وترين النّاس الّذين معك كأنّهم يزاحمونك في رزقك، أو يزاحمونك في مكانتك.

وانظرن واعتبرن: بيوسف -عليه السّلام- وإخوته؛ الآن كلّ مشكلة يوسف -عليه السّلام- وحصول العداوة بينه وبين إخوانه، كان سببها حبّ الدّنيا أنّهم كانوا يريدون أن يخلو لهم وجه أبيهم. فهذه كانت هي المشكلة الأساسيّة أنّهم يريدون أن يخلو وجه أبيهم فخلوّ وجه الأب كانت إرادة دنيويّة، سبّبت في نفوسهم العداوة فحصل منهم ما حصل بعد ذلك.

وسنرجع مرّة ثانية نقول: بأنّ حبّ الدّنيا هو الأساس. **فهذا هو الأمر الأوّل:** أنّ النّاس حين يحبّون الدّنيا؛ يحرثون لأجلها، ويبغضون من ينافسهم في هذا الحرث.

مباشرة دعنا نقول العلاج: كيف تطمئنين أنّك ممّن يريدون: ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾. حين تراجعين نفسك في كل مرة، وتقولين: (لكن أنا لا أريد كلّ شيء في الدّنيا، أنا أريد ما عند الله، الّذي لا أجده هنا سأجده عند ربّ العالمين، أنا أريد الآخرة، أنا أريد الآخرة).

أنا أريد منك أن تتصوّري: أنت الآن اجتهدت واجتهدت وعلّمت شخص أيّ شيء يتّصل بالدّنيا، ثمّ أَحْسَنَه إحسانًا فاقك أنت، واستفاد منه، ولكن لم يمرّ يومًا ويقول لك: (هذه هديّة لأنّك في يوم ما فعلت لي كذا وكذا)، فماذا يقوم في النّفس؟ غليان حين يأتي هذا الغليان، ماذا ستقولين؟ (الغليان من الشّيطان)، ماذا ستفعلين؟ تقولين لنفسك: (هذا الّذي فعلته أريده لوجه الله، ومهما فعل الشّيطان أنا سأبذل جهدي في تسكيته)، وهذه تأتي هي النّقطة الثّانية، يعني الآن ألم نقل إنّ حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة؟ كيف يظهر هذا ويأتي بالعداوة؟

الأمر الأوّل: أنّ النّاس في الدّنيا يحرثون لأجل الدّنيا ويعادون من يزاحمهم فيها.

الأمر الثّاني: حين يريد الإنسان الدّنيا؛ فإنّ الشّيطان يُثيره على عداوة من شاركه دنياه، ويلقي في نفسه الظّنون السّيّئة الدّائرة حول الدّنيا وليست الدّائرة حول الآخرة. يأتي يقول لك: (هؤلاء يستغلّونك،

هذا سيتعلّم منك وسيفعل مثل ذلك، هذا بعد أن تؤمّنه سيخونك وسيطعن في ظهرك) ويبقى الشّيطان يُحرّشك على الّذين آمنوا لأجل الدّنيا؛ بحيث أنّه يحصل في قلبك عداوة من تحريش الشّيطان. وإذا سألك أحد سؤالًا وأنت أصلًا تريدين الدّنيا، فتشعرين بأنّك تسألين نفسك: (وماذا سأستفيد لو أجبته؟) لأنّها لا تحبّ إلّا الدّنيا؛ فإنّها ستسأل نفسها: (لو قلت له إنّ الطّريق من هنا، أنا بماذا سأستفيد؟) فيصير في القلب الأنانيّة. فالّذي يحبّ الدّنيا سيكون أنانيًّا، والشّيطان كلّ مرّة يُحرّش الإنسان أكثر وأكثر على ألّا ينفع المسلمين؛ بل على أن يبدأهم بالعداوة.

وأنتنّ مرّ عليكنّ أحد تكنّ ما فعلتنّ له شيئًا، فقط سألتنّه سؤالًا، فيقوم مباشرة يجيبكنّ جواب المتحامل ماذا تتصوّرين أن يكون دائرًا في نفسه؟ (إنّ النّاس يستغلّونني، إنّ النّاس يأخذون خبراتي، إنّ النّاس لن ينفعوا) وهذا كلّه لأنّه يريد الدّنيا فلأنّه يريد الدّنيا ويريد العلوّ؛ يرى أنّ أيّ نفع للمسلمين، أو أيّ نفع حتّى لأيّ إنسان؛ ضدّ انتفاعه، فماذا يفعل؟ الشّيطان يجد أرضًا خصبة للوساوس، والظّنون السّيّئة؛ ولذا فأنت تجدينهم يشتغلون سويًا، ومن المفترض أنّهم يفيدون بعضهم بعضًا، فإذا وجدت أنّ النّاس لا يحترمونها جدًّا بعدما أفادتهم، ولا يعطنوها شهادة شكر ولا يثنون عليها في كلّ مجلس؛ تغلق الباب الّذي بينهم وبينها وتعاديهم وتقول: (هؤلاء مهما فعلت فيهم الخير لا يظهر

منهم الخير) يعني: تسدّ باب النّفع بناءً على حبّ الدّنيا وباب النّفع هذا ما يُسدّ هكذا فقط، وإنّما أيضًا تأتي معه العداوة.

فإذًا: هذان سببان الآن: الإنسان يعادي من يشاركه في الحرث:

الأمر الأول: لأنّ الدّنيا ضيّقة عند النّاس، وإذا أنت انتفعت؛ إذًا أنا لن أنتفع بهذه الطّريقة.

والأمر الثّاني: أنّ الشّيطان يُحرّش الإنسان على العداوات، فيلقي في النّفس الظّنون السّيّئة، وأنّ النّاس يريدون أن يأخذوا منك دنياك؛ بينما كلّ القصّة تكون قد بدأت بحبّ الدّنيا.

يعني: إلى أن يصل الإنسان أنّه لو مرّ عليه اثنان يكونان يضحكان مع بعضهما، قد تأتي حالة عند الإنسان يقول فيها: (هؤلاء يضحكان عليّ) فهذه حالات موجودة، حتّى أنّها ليست عند الصّغار فقط يعني: أنت قد تتصوّرين أنّه يمكن أن تكون عند المراهقات، لا وإنّما حتّى عند الكبار حين يسيطر الشّيطان على هذا القلب؛ يجعل النّاس حوله أعداءه والسّبب: أنّه ليس مشغولًا بمكانه عند الله؛ وإنّما مشغول بمكانه عند النّاس، فيحوّل كلّ شيء إلى سوء ظنّ أنت قد تقبلين ذلك الظن لو صدر منه تجاه أحد يعرفه ويريد إيذاءه لكن أن يصدر منه هذا الظن تجاه أحد في الشّارع وفي السّوق وفي المسجد وفي كلّ مكان هذا يدلّ على أنّ هذا الشخص أصبح مريضًا والشّيطان سيطر على

فؤاده؛ ليغلق ما بينه وبين المسلمين، فلا تكون هناك علاقة إلّا العداوة يعادي كلّ النّاس هذا المرض يتطوّر ويتطوّر إلى أن يعتزل النّاس تمامًا، ويغلق عليه بابه ولا يخرج ولا يقابل النّاس بالسّنين الطوال وهذا مرض موجود، **لكن**: ابتدأ بأيّ شيء؟ بأنّ الإنسان فكّر في نفسه وفي الدّنيا وفي مكانته والشّيطان وجد أرضًا خصبة للعداوات ولسوء الظّنّ، فأشعلها حتّى أحرقت أرض هذا القلب تمامًا، وأصبح مريضًا وقد تمرّ عليه السّنين الطّوال ما يقابل أحدًا وما يخرج؛ لأنّ النّاس يستهزؤون به؛ لأنّ النّاس ما يحترمونه، بهذه الطّريقة.

فهاتان الآن مسألتان بسبب حبّ الدّنيا:

- الإنسان نفسه يعادي النّاس.
- والشّيطان يُحرّش الإنسان على النّاس.

الأمر الثّالث: حبّ الدّنيا يسبّب العداوة بسبب الأصحاب. بمعنى: أنّ الأصحاب يكونون سببًا في إثارة الإنسان على المسلمين، أو على غيره، فتحصل العداوات الأصحاب هنا ليسوا بمعنى الأنداد، وإنّما يعني: الزّوج والزّوجة أصحاب، الجيران من أصحابنا، الخادم من أصحابنا، بمعنى: المصاحبة.

هؤلاء الأصحاب يسبّبون العداوة كيف يسبّبون العداوة؟ بمجرّد أنّه ينقل لك أخبارًا، ويكون الخبر صحيحًا، لكن سياقه والكلام الّذي

فيه يورث في قلبك العداوة وسنفترض: أنّ الخبر صحيحًا، يغتاب، أو ينِمُّ، بمعنى: يأتي بخبر لأجل الإفساد حتّى لو كان صحيحًا فهو لأجل الإفساد فهؤلاء الأصحاب إلّا ويورثون في قلبك العداوة.

لماذا يفعل هؤلاء الأصحاب ذلك؟ لازالت الدّنيا هي السّبب لأجل أن يلاقوا حظوة عندك مثلًا، لأجل أن تحبّهم، لأجل أن تحترمهم، لأجل أن تثق فيهم، فيقومون بجمع الأخبار لك، مثلًا: هذه خادمة في البيت، ونحن نسكن مع أقاربنا، فإذا طلعت إلى فوق تأتي بالأخبار وإذا نزلت إلى تحت تأتي بالأخبار تأتي بالأخبار لعمّتها؛ لأنّ عمّتها تحبّها، وتشعر بأنّها خادمة أمينة؛ ومن ثمّ يحصل في القلب عداوة.

الأصحاب هؤلاء يمكن أن يكونوا بناتي، أولادي، يذهبون عند أعمامهم، عمّاتهم، ويأتون بكلام لا ينبغي أن يأتي، ويلقون في قلبي العداوة وهكذا فالنّاس الّذين يصحبونك بسبب الدّنيا، يمكن أن يكونوا سببًا لإيجاد العداوة في قلبك، ينقلون لك كلامًا، ينقلون لك أحداثًا، وأحيانًا لا يكون كلامًا ولا أحداثًا؛ وإنّما يقولون لك: (هؤلاء بيتهم كذا هؤلاء حالهم كذا انظروا أبوكم وانظروا أعمامكم) بهذه الطّريقة؛ بحيث أنّه يصير في القلب عداء على هؤلاء الأشخاص سواء كان عندهم مال أو غيره.

والسّبب ماذا؟ **السّبب**: حبّ الدّنيا يعني: ليس بأن تقولي لهم: (نحن رضينا بالله ربّا، وما دبّرنا الله وأعطانا فهذا هو رزقنا)، لا؛ وإنّما لأجل أنّ الدّنيا محبوبة يقع هذا الكلام.

أنت ستقولين لي: (من الطّبيعي أن يقع هذا الكلام)، **نقول:** وقوّة المؤمن في مدافعته ومجاهدته مأجور عليها، فأصلًا هذا الكلام ما يصل لك إلّا اختبارا لك. فهل ستدفعينه؟ أم ستستسلمين له وتورثين نفسك العداوات؟ لابدّ أن تصمّي أذنيك.

لابدّ أن تعلّميهم قاعدة: (إنّنا ندخل بيوت النّاس عميًا، ونخرج بكمًا، لا نرى ولا نسمع حين ندخل، وحين نخرج لا نتكلّم)، مثل هذا الكلام يُذهب عن النّفس أيّ حرارات وعداوات، حتّى لو كان هناك أسبابها، فإنّه إذا كانت الدّنيا فهناك أسباب كثيرة للعداوة، مجرّد كوننا مشتركون في العائلة، ثمّ بعد ذلك يكون لهم حال، ويكون لي أنا حال أقلّ منه؛ هذا من الطّبيعي أنّه يأتي في النّفس عداوات. لكن الّذي لا يستمع لشياطين الإنس والجنّ؛ لا يُثير نفسه، ويبقى راضيًا.

ممكن تذهبين تزورين الجارة وتقولين لها: (أنا أستسمحك، سأذهب أذاكر لأولادي)، فتقول لك: (هل تذاكرين لهم؟ وأبوهم هذا ماذا يفعل؟ أبوهم ماهي مهمّته في الحياة؟ وكلّه عليك أنت؟) فقط تكفي

هاتان الكلمتان وتذهبين والقلب مشحون وترتّبين كلامًا من أجل أن تقوليه غدًا وبعد غد.

فكلّ هؤلاء الأصحاب مصيبة كبيرة على الإنسان لذلك لابدّ أن ينتقي الإنسان الأصحاب، وإذا كان مضطرًّا لبعضهم، لا يفتح أذنيه لهم، بل يقوم بفعل مقاومة؛ لأنّهم يثيرون في قلبك حبّ الدّنيا. ويجعلون القلب في حالة من العداوة، ثمّ إنّه كلّ يوم عداوة بشكل وكلّ أحد على حسب نقطة الضّعف الّتي ابتُلي بها لأنّنا لسنا كلّنا لنا نفس الابتلاء فكلّ واحد منّا هناك في حياته أحد أو اثنان أو ثلاثة أو عائلة، أو أشخاصًا معيّنين أو منصبًا معيّنًا هو الّذي يسبّب له العداوات، وكلّ شخص على حسب وسطه وأحواله.

بذلك أصبحت ثلاثة أمور، رأسها حبّ الدّنيا:

١- نفسك الّتي تريد الدّنيا وتحارب عليها.

٢- والشّيطان الّذي لقيك أرضًا خصبة.

٣- والأصحاب الّذين قد فتحت أذنيك لهم فيثيرون في قلبك العداوات.

الأمر الرّابع: وهو أمر في غاية الخطورة: الإعلام، أو دعنا نقول: طرق التّواصل الحاصلة بين النّاس، فهذه ما كانت في الحسبان أبدًا لكنّها اليوم من أهمّ أسباب حصول العداوات بين المسلمين، يعني: تقسيمهم

إلى جنسيّات وتقسيمهم إلى ألوان وكلّ المسائل الّتي لا تكون لك بها علاقة أبدًا، ولا أنت من يقوم بتدبيرها؛ بل هي بلاء على كلّ المسلمين صحّ من صحّ فيه وأخطأ من أخطأ فليس هذا موضوعنا.

ثمّ إنّنا نكون جيرانًا لسنوات ونعيش مع بعضنا، وبعد ذلك يأتون بمقطع إعلاميّ، أو يحصل حدث ليس بأيدينا، فنتخاصم على شيء، ونتعادى على أمر، نحن لا يد لنا فيه

فالمقصد الآن: أنّك لا تسمحي أبدًا للعداوة أن تدخل في قلبك من أيّ منفذ، وفكّرن في ذلك ستفهمني جيّدًا؛ ستفهمن: كيف أنّ الإعلام يلعب دورًا كبيرًا جدًّا في إيجاد العداوة والبغضاء بين المسلمين وكيف أنّ سبل التّواصل ما تركت أحدًا إلّا واحتقرته، وقلّلت من قيميته، وكيف أنّها على حسب ما تريدين تقلّبك، تحبّين هذا وتبغضين هذا وحسب ما تريدين تصف لك الأمور والله أعلم بالحقائق والله أعلم حين نلقاه ماذا تكون حقيقة كلّ شيء؟ يعني: شأن كلّ أحد، فأنت لن تحاسبي إلّا على المطلوب منك، لا تعادي المسلمين على شأن أنت ما تفهمين فيه شيء ولا يدخل الإعلام إلى قلبك عداوات ما لك فيها باب.

طبعًا من أسباب العداوات في التّواصل، أن يأتي هذا -وربّنا يكون قد أعطاه ووسّع عليه- فيقوم يكلّمك عن نفسه وعن أحواله وعن ماله، فتحصل عداوة لأشخاص أصلًا أنت ما بينك وبينهم علاقات

فتبغضينه وتكرهينه وتكرهين المال عليه تحسدينه وكلّ هذا بسبب أداوت التّواصل وهي ممّا شوّشت النّاس، وأدخلت العداوات، وأفسدت كثيرًا من القلوب، والله أعلم كيف سيكون الحساب؟ الله يعيننا على الحساب أمور نحن لا علاقة لنا بها، كما يُسمّونه: "عالم افتراضي" والله أعلم إن كانوا صادقين أو غير صادقين، الله أعلم إن كان هذا الكلام الّذي يقولونه صحيحًا أو ليس صحيحًا، حتّى هذا الّذي يتباهى بسيّاراته، أو بماله، الله أعلم صحيح أو غير صحيح وكثير منهم كاذبون فيقع في قلبك عداوة وبغضاء لمسلمين على شأن أنت لا تعرفين إذا كان صحيحًا أو ليس صحيحًا الأخبار الكاذبة الأكاذيب الكثيرة الّتي تسبّب لك العداوات، كلّ هذا أمر أنت في سلامة منه، لماذا تشغلين قلبك به؟

فالمقصد: أنّ الإعلام بكلّ وسائله اليوم يُعتبر أحد الأسباب للعداوة؛ لأنّ الّذي يحبّ الدّنيا، ويجد النّاس مستمتعين، أو يجد النّاس عندهم أموال، أو يجد النّاس في أحوال معيّنة، وهو يحبّ الدّنيا؛ فطيلة الوقت يقول لك: (هؤلاء لصوص، هؤلاء سرقونا) من أين أتيت بهذه الأخبار؟ الإعلام قال له غدًا حين تقف مع المتّهم عند ربّ العالمين، ما الّذي يشهد لك؟ وأنت تدخل نفسك هذا الباب بمناسبة ماذا؟ الزم ما عليك.

سيتبيّن لنا من يجب علينا أن نُعادي؟ فالشّيخ بعد ذلك بيّن أنّه بدلًا من أن تكون العداوة والبغضاء من أجل الدّنيا؛ فإنّها لابدّ أن تكون العداوة قربة لربّ العالمين، وتعرفين من تعادين، هذه المشاعر الّتي تحمليها من المفترض أن تَصُبِّيها على أُناس معيّنين، لا أن يصير هؤلاء الأُناس المعيّنين يصبحون هم المحبوبون وبهم يصير الانبهار، وتأتي تنقلبين على المسلمين وتبغضينهم والإعلام قام بفعل هذا بالضّبط، جعلك منبهرة بالكافرين مادحة لهم طيلة الوقت، محتقرة للمؤمنين، مقلّلة من قيمتهم وجعل في نفسك بغضًا لأسباب لا تدري حتّى ما هي والحساب يوم الدّين سيكون على هذا الّذي في قلبك، حين تُبلى السّرائر يخرج منها ما وقع من أحقاد وما وقع من كراهية غير مبرّرة، وليست قربة إلى ربّ العالمين.

لا تعتقدي أنّ مشاعرك هذه حقّ لك تفعلين فيها ما تريدين. لا، ليس صحيحًا وإنّما الصّحيح أنّ مشاعرك الّتي أعطاك الله إيّاها؛ من المفترض أن تتقرّبي بها إلى ربّ العالمين، ومن ذلك المحبّة في الله، والبغض في الله؛ ومن ذلك إذا وضعت البغض والعداوة مكان المحبّة تكونين آثمة. لابدّ أن تضعي المحبّة في مكانها والعداوة في مكانها. وسيتبيّن لنا من خلال الدّليل. اقرئي فقط الدّليل الأوّل:

(قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾).

الآن هذه الدّنيا وهذه طبيعتها، أنّه لابدّ أن يحصل بين النّاس حالة من التّنازع. **يُقال لك**: لا تجعلي التّنازع سببًا للعداوة، يعني: الآية فيها: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ﴾، تردّونه إلى ماذا؟ ﴿إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾؛ وهذا يصلح من عند الصّغير إلى الكبير، أنّنا كلّما حصل بيننا تنازع، لا تجعلي هذا التّنازع يكبر حتّى يورث عداوة؛ إنّما ما هو المطلوب؟ أن نردّه إلى الله والرّسول، بمعنى: نطلب حكمهما، حكم الله وحكم الرّسول.

سنبدأ هنا: بمجموعة أمور من المفترض علينا حال التّنازع أن نفعلها. التّنازع هنا سيكون حول أيّ أمر شرعيًّا كان أو دنيويًّا، أيّ أمر. **نفترض**: حصل بيننا اختلاف في معنى آية، يعني في مسألة شرعيّة، أو حصل بيننا اختلاف في مسألة تتّصل بالميراث، يعني: شيء يتّصل بالدّنيا، وشيء يتّصل بالدّين. ماذا نفعل؟

الآن أنا وأنت اختلفنا في معنى آية. **المفترض**: مباشرة نرجع إلى كلام أهل العلم المتّفق عليه ونفهمه، وإذا ما فهمناه؛ فأنا وأنت نبحث عن أحد أفهم منّا، ويفهّمنا؛ فهذا هو المفترض، **لكن الّذي يحدث**: أنّني أخرج من المجلس الّذي اختلفنا فيه، وأتّصل على فلانة، وأقول لها: (انظري فلانة لا ترضى أن تفهم، وتصرّ على رأيها...إلى آخره) أو أسرع

أبحث عن أناس كثيرين أحشدهم لأجعل رأيي هو الصّحيح **فانظري**: كيف أنّ المشكلة هي حبّ الدّنيا أريد أن أجعل رأيي هو الصّحيح، فحين أتنازع في مسألة مثل هذه يكون ليس لأنّي أريد الحقّ؛ وإنّما أريد نصرة النّفس. **المهمّ**: أخرج وأحشد، ثمّ بعد ذلك وقبل أن أنتهي من ذلك الحشد، أذهب وأكتب على صفحات الإنترنت: (أنّ فلانًا لا يفهم، وفلانًا دينه كذا، وفرقته كذا، أو منحرف، أو مبتدع) وماذا أفعل؟ أصعّد الموقف في الأصل مثل هذا هل سيفهّمني الآية؟ هل سيفهّمني الموضوع؟ هل سيفصل بيننا؟ أبدًا وإنّما هذا سيأتي مباشرة بالعداوة.

وهذه العداوة منطلقها دنيويّ، لماذا؟ لأنّ هذا من حرثه أنّه يريد أن يعلو، أن يفرض كلمته أن يكون هو الصّواب، وإلّا فإنّه إذا كان يريد الحقّ لكان صبر حتّى يبحث عن الحقّ. فإنّ أيّ أسلوب وقت النّزاع لن يكون صاحبه إلّا يريد الدّنيا أو يريد الآخرة، الأسلوب الّذي ستستعملينه وقت المنازعة سيدلّ على الإرادة: هل تريد الدّنيا أم تريد الآخرة؟

مثلًا: دعنا نقول: ما وصل الحال به أن يكتب على الصّفحات ولا أيّ شيء؛ وإنّما خرج من المجلس، وذهب بحث وبحث لمّا حشدت كلّ المعاني الّتي تؤيّد رأيه، وجاء في اليوم الثّاني فرحًا بأنّ رأيه كان هو الصّحيح.

مجرّد هذه الإرادة، إرادة أنّ رأيي هو الصّواب؛ فإنّ هذا سيورث المجلس نزعًا للبركات وعداوة بين الأفراد لماذا؟ لأنه يريد الدّنيا. مادام أنّه يريد الدّنيا في أيّ تنازع فقد انتهى الموضوع نُزعت البركة، ووقعت مكانها العداوة، هذا لو كان في أمر يتّصل بالدّين.

ومثله: أمر الدّنيا، الآن المختصمون على الميراث، الخصومة قد تحصل؛ لأنّ أنا لي وجهة نظر، وأنت لك وجهة نظر في هذا الشّأن. أليس هناك من يحكم بدين الله؟ بلى، هناك من يحكم، فلا تصرّي على رأيك، واذهبي لمن يحكم بدين الله، واذهبي لأحد محايد لا تكون لك علاقة به وليس له هو أيضًا علاقة بك، وخذي ما استطعت من الصّبر، والإيمان معك؛ لتقبلي الحكم؛ لأنّه إذا خرج الحكم ضدّك؛ ستبدأ الآن شرارة العداوة: (أنت تشتري النّاس اشتريت هذا القاضي اشتريت هذا الحكم فعلت تركت غششت في الأوراق) فتبدأ شرارة العداوة الّتي أصلها حبّ الدّنيا.

تصوّري: لو كانت إرادته الآخرة، ماذا سيفعل؟

سأبدأ بالأوّل: الآن أنا وأنت اختلفنا في معنى الآية، سيكون الّذي يشغلني في نفسي: ما هو المعنى الصّحيح؟

وفي الثّاني: حين نكون متنازعين في الميراث، يكون فقط الّذي يهمّني أنّني أضع كلّ شيء في موضعه؛ من أجل ألّا يكون في ذمّتي، ولا في

ذمّتك، ولا في ذمّة أحد منّا شيئًا معلّقًا وقع فيه خطأ، حين ألقى ربّ العالمين. فهذا الّذي يشغلني.

فانظري: كم سيختلف ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ و ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾؟ سيختلفون في نفس المواقف؛ لأنّ إرادة الآخرة تجعل الإنسان يسلك سلوكًا مختلفًا تمامًا عمّن يريد الدّنيا؛ فالّذي يريد الدّنيا ما همّه إلّا أن يصل هو إلى مصالحه فالأمر واضح.

إذًا: لماذا أورد آية التّنازع؟ لأنّ التّنازع شرارة العداوة.

يأتي السّؤال الثّاني: هل معنى ذلك أنّ المجتمع المسلم لا تنازع فيه؟

الجواب: أنّ التّنازع طبيعة إنسانيّة، تُصلحها إرادة الآخرة، والرّدّ إلى الله ورسوله.

مرّة أخرى: هل يمكن أن يكون من الطّبيعي أنّه ليس هناك تنازع؟ لا، من الطّبيعي أن يوجد هناك التّنازع. المجتمع الإنساني عمومًا لابدّ أن يقع فيه التّنازع. ما الّذي يصلح التّنازع وما تصير هناك شرارة العداوة؟ أن يجمع الإنسان بين أمرين:

الأمر الأوّل: أن يكون يريد الآخرة، يريد وجه الله، يريد رضا الله.

الأمر الثّاني: أن يردّ إلى الله ورسوله، يحكّم الله ورسوله.

الآن أنا عندي طفل صغير ضرب أخاه الثّاني، فلابدّ أن نقول له: (إنّ هذا سيقتصّه، سيأخذه منك إن لم يكن في الدّنيا يكون في الآخرة)، **والرّدّ إلى الله ورسوله**: أنّ العين بالعين والسّنّ بالسّنّ. فماذا يجب أن يحصل؟ (يأخذ منك، يقتصّ، يضربك بنفس الطّريقة، إلّا إذا عفى عنك) بحيث أنّه منذ صغره يفهم أنّه إذا حصل تنازع -والتّنازع موجود لا أحد يخلو منه- فالأخوات في البيوت يتنازعون كبارًا وصغارًا، كلّ مجتمع يجتمع بينه شيء من الودّ لابدّ أن يصير بينه شيء من التّنازع فلابدّ مع الودّ أن يأتي التّنازع، لماذا؟ لأنّه لو لم يكن هناك ودّ سيكون كلّ أحد في جانب أصلًا ولن يصير بيننا لقاء لكن حين يحصل الودّ؛ الشّيطان لا يرضيه هذا الودّ، فماذا يحصل؟ لابدّ أن يتنازعوا يعني: أنت تذهبين أنت وإخوتك عند أمّك، وفي نيّتك أنّك تؤنسينها، وبعد ذلك ماذا تفعلين؟ أنت وأولادك، وأولاد أختك، وأولاد الباقين، ماذا يفعل هذا الفريق كلّه؟ لابدّ أن نخرج كلّ يوم بعد محاكم ومحاكم، أنّ النّاس يتنازعون ويتضاربون، ويخرجون في آخر اللّيل بهذه الطّريقة والسّبب أنّه أوّل ما يحصل الودّ يأتي مباشرة تحريش الشّيطان ولا أحد في المجلس يستعيذ من الشّيطان الرّجيم ولا يعوذ إلى الله ويلجأ إليه أنّه يحمي هذه الجلسة وحتّى قبل أن تذهبي لم تقولي: (يا ربّ سلّمنا من عداوة الشّيطان)، فنذهب هكذا عادي، ولا نشعر بأنّه جالس ينتظرنا لأنّ العداوة والبغضاء الّتي تحصل في قلوب الصّغار والكبار ممّا يُفرح

الشّيطان تذهبين لتؤدّي واجبًا، أو لتؤنسي والدًا أو والدة، وتخرجين وقد نكّدت على نفسك ونكّدت على الموجودين؛ **والسّبب طبعًا**: الشّيطان الرّجيم. وأين الاستعاذة منه؟ ليست موجودة ثمّ إنّ هذه تبقى في القلب، ويكبر النّاس ويكبرون، وتأتي تقول لك: (منذ زمن فعلتم لنا كذا وأنتم أصلًا ما تحبّوننا ومنذ زمن كنتم تعادوننا)، وكلّ هذا من تحريش الشّيطان، فهو يحبّ أن تقع العداوة والبغضاء بين المسلمين.

يعني: كلّ موقف ودّ معه موقف عداوة وهذا واضح جدًّا جدًّا في الحجّ يعني أنت في الحجّ تجدين النّاس وقد ذهبوا لله، ويريدون الآخرة ويجتمعون؛ وإذا ما اجتمعوا تصوّري بعددهم **مثلًا**: في الخيمة وحدها ٤٠ أو ٥٠ آدميّة، ومعها ٤٠ أو ٥٠ شيطانًا وبعد ذلك ما الّذي يحصل؟ يحصل الّذي تعرفنه أنتنّ: (أخذت أشيائي دفّت فراشي) يعني: تشعرين وكأنّك في مركز طفولة، وليس عند نساء كبار وناضجين لكن ما الّذي يثيرهم؟ الشّيطان.

ثمّ إنّ المشكلة أنّهم يذهبون يرجمونه يرجمون ويأتون يتضاربون لكن لأنّه لا يوجد تصوّر أنّه موجود وأنّ العداوة موجودة، فليس هناك تصوّر لهذه المسألة.

هذه القاعدة الأخيرة مهمّة: أنّه كلّما وُجد الودّ، كلّما وجد الشّيطان لإيقاع العداوة، حين تكون أصلًا هناك عداوة فهو يثيرها ويزيدها لكن مكانه الأساسي وقت الودّ؛ لأجل ذلك أنت أمّ، أنت أخت، أنت ابنة، أنت زوجة، لابدّ أن تعرفي أنّه كلّما زاد الودّ بين أفراد العائلة كلّما زاد الشّيطان اجتهادًا في إيجاد العداوة، لابدّ من كثرة ذكر الله، ولابدّ من كثرة الاستعاذة من الشّيطان الرّجيم، ولا تظنّي نفسك مثلما قد يقول النّاس: (نحن أصابتنا عين أو نحن سُحرنا) هذا بعيد؛ **الأصل**: تحريش الشّيطان، يعني: نحن عائلة طيّبة -الحمد لله- وكلّنا نحبّ بعضنا، وفجأة بدأ النّاس يعادي بعضهم بعضا نعم، فكلّ هذا كأنّها فاتورة قديمة الشّيطان يحرّش ويحرّش ويوقع في القلوب، وبعد ذلك تأتي لحظات تحصل فيها انفجارات.

المقصد الآن: أنّه إذا حصل تنازع -والتّنازع لابدّ منه- أوّل شيء لابدّ أن تريدي الآخرة؛ حين تتنازعين يكون كلّ تفكيرك: (أن لا أذهب إلى ربّنا وأنا واقعة في خطأ)، فماذا أفعل؟ أردّه إلى الله وإلى الرّسول؛ وهذا طبعا يحتاج إلى شيء من التّفصيل في كلّ حالة.

التّعليق على الدّليل الثّاني موطن سورة الممتحنة (٤)

دعنا نرى الآن الآية الثّانية، اقرئيها:

(وقالَ الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾.)

هذه الآية الّتي في سورة الممتحنة فيها بيان: أين تضعين عداوتك؟ لأنّ إبراهيم -عليه السّلام- ماذا فعل مع قومه؟ عاداهم عادى قومه، يعني: الأب، والأخ، والأصحاب، الّذين كانوا في قومه كلّهم هجرهم **والسّبب**: هجرهم في من؟ هل هجرهم للدّنيا؟ لا، للآخرة، فالّذي يريد الآخرة من المفترض أن تكون مشاعره في الودّ كمشاعره في العداوة:

⇐ في الودّ يضعها عند أهل الإيمان.

⇐ وفي العداوة يضعها في أهل الكفران.

يبغض ويحبّ من أجل الله، يعني: مصلٍّ ساجد، هل ترينه مثل من يقول إنّ الله له صاحبة وولد؟ كيف يكون الاثنان في نفسك في مثل هذا؟ يعني هذا القول إنّ الله له صاحبة وولد: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾[1] وأنت تأتي بكلّ سهولة، يمرّ عليك مثل هذا، وتجدين في نفسك رضا عنه وأيضًا محبّة وإعجابًا به والمؤمن الّذي يسجد لربّ العالمين موحّدًا له، تجدين في قلبك عداوة له فإنّ هذه ليست إلّا صورة شخص يريد الدّنيا ولا يريد الآخرة لا يشغله مكانه عند الله عزّ وجلّ ولا هو مشغول برضا ربّ العالمين

فالعداوة والمحبّة شعوران، أنت ستحاسبين عليهما، فإذا وضعت في قلبك عداوة لأهل الإيمان وهم مؤمنون، ووضعت في نفسك

(١) مريم: ٩٠.

محبّة لأهل الباطل وأهل الكفران وهم كافرون؛ يسبّون ربّ العالمين ويتّهمونه بالنّقص، ويقولون: (إنّ الله فقير!) ويقولون: (إنّ له صاحبة!) وأكثر من ذلك بكثير ويكون في قلبك محبّة لهم **معنى ذلك**: أنّ الله -عزّ وجلّ- ليس في نفسك العظيم ولا المحبوب!

لكن المؤمن الصّحيح:

- ✓ يحبّ من يحبّه الله.
- ✓ ويبغض من يبغضه الله.
- ✓ ويرى **"العداوة والبغضاء"** حقّ فيمن عادى الله.
- ✓ ويرى المحبّة حقّ فيمن استقام في طريق الله.

و﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي﴾، من؟ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، فإبراهيم:

- ✓ تبرّأ من قومه وهو واحد.
- ✓ تبرّأ من قومه وواجههم بالحقّ.
- ✓ وتبرّأ منهم وخرج من عندهم وما شغله في حال خروجه أنّه وحيد، وأنّه فريد، وأنّ النّاس لم يقبلوه، وأنّه سيكون نتيجة عدم قبول النّاس وحده منفردًا؛ ما اشتغل بهذا.

ولذا ﴿لَكُم أُسوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فيه.

- ولذا هو خليل الرّحمن.

- ولذا هو الّذي نصلّي ونسلّم على رسولنا -صلّى الله عليه وسلّم-، ونطلب من ربّنا أن يصلّي على رسولنا -صلّى الله عليه وسلّم- كما صلّى عليه.

هذه المكانة كلّها لإبراهيم بسبب ماذا؟ هذه المكانة كلّها لإبراهيم بسبب أنّه جعل ما في قلبه من حبّ لله خالصًا، وما في قلبه من عداوة لأعداء الله خالصًا، أحبّ المؤمنين، وأحبّ ذرّيته الّتي ستأتي من بعده، وخاف عليها، وسأل الله لها كما في سورة البقرة:

- سأل الله أن تكون هذه الذّرّيّة مؤمنة موحّدة.

- وسأل الله أن يأتي لهذه الذّرّيّة: ﴿رَسُولًا مِّنهُم يَتلُواْ عَلَيهِم﴾[1] الآيات.

فانظري: من تمام حبّ أهل الإيمان، أنّه أراد الإيمان أن يبقى ساريًا في ذرّيّته، وأن يأتيهم من يعلّمهم.

فهذا القلب الّذي يحمل الإيمان للمؤمنين، ويحبّ انتشار المؤمنين، هو الّذي يحبّه ربّ العالمين، وهو الّذي يريد الله -عزّ وجلّ- أن يكون لنا ﴿أُسوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

---

(١) البقرة: ١٢٩.

أمّا المؤمن، الموحّد، المصلّي، السّاجد، العابد، الذّاكر، تجدين في قلبك عداوة عليه، وبعد ذلك تكون في النّهاية العداوة لأجل الدّنيا هذا والله عيب أمام ربّ العالمين -ولله المثل الأعلى- الواحد فينا يكون عنده أبناء، يحبّ أن يكون أبناؤه هؤلاء مجتمعين يحبّ بعضهم بعضًا، وأبغض حالة للآباء أن يجدوا أبناءهم مفترقين، ومتناحرين، ومتعادين؛ فالله ربّ العالمين -ولله المثل الأعلى- ربّ المؤمنين، يحبّهم، وهو وليّهم، ويحبّ من أوليائه أن يحبّ بعضهم بعضًا، يعني إذا كنت أنت تحبّين الله، عليك أن تحبّي أولياء الله ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[1].

هناك أسباب كثيرة تسبّب العداوة؛ لو أردت الآخرة، ستبذلين جهودك في غسل قلبك من ذلك.

إن شاء الله يتيسّر لنا الأسبوع القادم الكلام عن **"أسباب غسل القلب من العداوات"**.

جزاكنّ الله خيرًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) يونس: ٦٣.

اللّقاء السّابع والعشرون

٢٨ رجب ١٤٤٠

تابع باب العداوة والبغضاء

الحمد الله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكّلنا على الله، نكمل الكلام حول هذه الكبيرة المتّصلة بكبائر القلوب: "العداوة والبغضاء"، وهذه الكبيرة مكانها القلب، والشّيخ هنا يذكر الكبائر القلبيّة وهذه الكبيرة لها أسباب في وجودها، ولها علاج، فاليوم نحن متّفقون على أن نتكلّم عن أسباب العلاج.

بيان أسباب سلامة الصّدر من "العداوة والبغضاء"

السّبب الأوّل: أهمّ سبب يسبّب لنا أن نترك هذه **"العداوة والبغضاء"**: إيماننا بأنّ الله -عزّ وجلّ- ينظر إلى قلوبنا، فيستحي الواحد منّا أن ينظر الله إلى قلبه وقد امتلأ حقدًا.

وهذا يعني اعتقادك: بأنّ الله -عزّ وجلّ- ينظر إلى قلوبنا؛ فإذا اعتقدت هذا الاعتقاد لابدّ أن يكون وراء هذا الاعتقاد عمل، والعمل هو تطهير القلب.

السّبب الثّاني: تذكّر أنّ النّاجي يوم القيامة هو الّذي يلقى الله بقلب سليم؛ فإذا وُجدت "العداوة والبغضاء"، إذًا: لابدّ أن تكون السّلامة غير موجودة، ومعنى ذلك: أنّه نقص في النّجاة. يعني هذا الّذي يأتي الله بقلب سليم، يُرجى أن ينجو مباشرةً من العذاب، ويفوز بالجنّة؛ فإذا حصل في القلب أحقاد وأمراض، فيكون هذا تأخيرًا لسلامته. معنى ذلك: أنّه يُحبس عن الجنّة بمقدار ما في قلبه من أحقاد. فهذا كلّه مكدّر للقلوب.

الحلّ الأوّل والثّاني هذان عامّان في كلّ أمراض القلوب وكبائرها، أنّه لابدّ من الاجتهاد في تطهير قلوبنا؛ لأنّ الله ينظر إليها، ولأنّه لا ينجو يوم القيامة إلّا من كان سليم الصّدر.

الآن نأتي بأمور خاصّة بمسألة الأحقاد:

هذه الأمراض كلّها، لا تستقرّ في القلوب إلّا بسبب حبّ الدّنيا؛ فإنّ السّبب الرّئيس للعداوة والبغضاء، وما يتّصل بها: حبّ الدّنيا، فلا يكون علاج الحقد إلّا بإرجاع الدّنيا إلى مكانها.

فالآن سنناقش حلولًا:

- تتّصل بمكانة الدّنيا.
- وبعد ذلك تتّصل بمكانة الآخرة.

- وتتّصل بوظيفة الإنسان.

يعني سنأخذ ثلاثة أنواع من الحلول. الحلّان الأوّلان هذان عامَّان، فأيّ مرض قلبيّ ذكّري نفسك أنّ الله ينظر إلى قلبك؛ فلابدّ أن تستحي أن ينظر إلى قلب مليء بالأحقاد؛ لأنّ هذا من عيوب الإنسان. واعلمي أنكِ بهذا تؤخّرين النّجاة.

الآن هناك حلول تخصّ مسألة **"العداوة والبغضاء"**، وما يتّصل بها، مبنيّة على معرفتنا لهذه المشكلة -أصلًا- من أين أتتنا؟

من أين أتتنا هذه المشكلة؟ من حبّ الدّنيا. أليس حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة؟ فلابدّ من:

- علاج مسألة الدّنيا.
- وأيضًا مسألة الآخرة لابدّ من التّنبّه لها.
- وأيضًا مسألة وظيفتنا في الحياة لابدّ من التّنبّه لها.

هذه ثلاثة محاور سنناقشها الآن. سنبدأ أوّلًا في الكلام حول العلاج من جهة معرفة حقيقة الدّنيا، وكيف أنّ هذه الدّنيا دار ابتلاء. لأنّ هذه الأحقاد كيف تأتي؟ النّاس يتنافسون على الدّنيا؛ ومن ثمّ يرون أنّ الرّبّح في الدّنيا هو الرّبّح، وأنّ الخسارة في الدّنيا هي الخسارة؛ ومن ثمّ

إذا خسر شيئًا في الدّنيا وكان هناك أحد من الخلق سببًا في هذه الخسارة؛ يقع في قلبه العداوة له.

واتّفقنا: أنّ هذه المشاعر الّتي تملكينها من المفترض أن تُصّرفيها في مصارفها الصّحيحة.

وكان الشّيخ قد أورد لنا مثلًا مهمّا يجب علينا الاقتداء به، **وهو**: إبراهيم عليه السّلام. وكيف أنّ إبراهيم -عليه السّلام- وضع مشاعر العداوة في مكانها الصّحيح، **وهي**: عداوة أهل الباطل، وليس عداوة أهل الإيمان؛ معنى هذا: أنّه لو أَخَذَت الدّنيا مكانها الصّحيح في نفوسنا، لما حصل في القلب منافسات، وعداوات.

السّؤال الآن: كيف تأخذ الدّنيا مكانها الصّحيح في نفوسنا؟ كيف أُوصل نفسي أنا إلى أن أضع الدّنيا في مكانها؟

قبل أن ندخل في التّفاصيل، أودّ أن أنبهكنّ: حين تسمعن أيّ كلام عن [حقيقة الدّنيا]، ضعوه في مكانه، يعني الّذي يعرف حقيقة الدّنيا، ويعرف حقيقة الآخرة؛ سيعيش الدّنيا لأجل الآخرة، وسيبتغي فيما آتاه الله في الدّنيا ما يوصّله إلى الآخرة، لكن: أيّ كلام عن الدّنيا لا تفهمي منه أنّه مطلوب منك أنّك لا تعيشين الدّنيا ألم يمرّ معنا أنّه من النّاس من ﴿يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾؟ ووعد الله بأن يزيد له فيه؛ ومنهم من ﴿يُرِيدُ

حَرْثَ الدُّنْيَا﴾[1]، ووعد الله أن يؤتيه من ثمرها. واتّفقنا: أنّ ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ لا يمكن أن يكون إلّا في الدّنيا، يعني أنت تحرث هنا وتحصد في الآخرة، فالدّنيا لابدّ أن تأخذ مكانها؛ لأنّ كثيرون من أصحاب العقل المتطرّف -وهذه مشكلة كبيرة- تقولين له: (الدّنيا كذا، وكذا، وصفها)، فيقوم بالتّطرّف في التّعامل معها، ويُحرّم على نفسه المباحات ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[2]، من يُحرّم هذا؟ فلابدّ أن يكون هناك توازن في استقبال الكلام.

ونحن كلّما تكلّمنا عن الكبائر أكّدنا على هذا؛ لأنّ العقل المتطرّف، ما أن تعلّميه شيئًا إلّا ويتطرّف به، ما يعرف إلّا يمينًا أو شمالًا لا يعرف أن يكون وسطًا. ونحن أمّة وسط، في كلّ شيء وسط.

فأنت لابدّ أن تعرفي الشّريعة ماذا تقول لك؛ من أجل أن تسيري في الوسط؛ **الوسط**: ما أخبرتك الشّريعة به.

والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- عاش في ضيق، وعاش في سَعَةٍ، وكلّ يوم له حقوقه:

⇐ يوم السّعة يكون الشّكر.

⇐ ويوم الضّيق يكون الصّبر.

---

(١) الشورى: ٢٠.

(٢) الأعراف: ٣٢.

وفي هذا وفي هذا نبتغي ما عند الله. يعني ليس هناك أيّ كلام الآن نقوله، ينقلب علينا عكسًا ويصير الإنسان بدلًا من أن يستثمر الدّنيا لأجل الآخرة، يزهد في الدّنيا زهدًا لا يصحّ له ومن ثمّ يقع في مشاكل نفسيّة، وأحيانًا كثيرة تنقلب هذه الاستقامة، وينقلب صاحبها عليها، يجد نفسه أنّ النّاس يعيشون وهو لا فيرى أنّه لابدّ أن يفكّ هذا القيد الّذي قيّد نفسه به، وتنقلب المسألة علينا إذًا: لابدّ من التّوازن في أيّ مفهوم نستقبله.

أُقدّم بهذا الكلام لأنّي سأتكلّم عن الدّنيا، وكيف أساعد نفسي للخروج من حبّها والتّعلّق بها.

سنتّفق في هذه المناقشة على عدّة أمور:

أوّلًا: أنّ من الطّبيعة الإنسانيّة محبّة الدّنيا، هذا أمر موجود في نفوسنا أن نحبّ الدّنيا. وجاءت الشّريعة تقول لي: "استعملي هذه الدّنيا فيما يُرضي الله." **فكان المهمّ:** أن نستعمل حبّنا للدّنيا في إرادة الآخرة.

ثانيًا: وحبّ النّفس أيضًا شيء طبيعي.

إذًا: هذان عاملان أساسيّان في مشكلة المنافسة في الدّنيا، ومن ثمّ الأحقاد؛ لأنّ الأحقاد كيف تأتي؟ أنا أحبّ الدّنيا، وأحبّ نفسي، وأنت تأتي تُنازعني في الدّنيا، فأكيد من الطّبيعي أنّني سأحقد عليك، أو كلّما

تذكّرتك أتذكّر الموقف المؤلم ويصير في نفسي ما يصير؛ وهذه هي **"العداوة والبغضاء"**، أنّه تبقى في نفس الإنسان من المواقف آثار تسبّب العداوات، ومن ثمّ انقطاع الصّلات.

نحن الآن نقول إنّ حبّ الدّنيا، وحبّ النّفس شيء طبيعي، **بمعنى:** أنّ الإنسان ابتُلي بذلك.

ألم يُقَل لنا: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾[1]؟ يعني نحن قد ابتُلينا بهذا الحبّ فلابدّ من معالجة لطيفة لهذا الأمر، يعني في البداية لا تستغربي من نفسك وأنت مؤمنة، أنّ فيك حبّ الدّنيا، أو حبّ نفس؛ فإنّه من الطّبيعي أن يكون فيك حبّ الدّنيا، وحبّ النّفس، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾، للنّاس كلّهم هذه ﴿الشَّهَوَاتِ﴾.

لكن أهل الإيمان حين يتعاملون مع هذا الشّهوات؛ فإنّهم يتعاملون بطريقة لا يصبحون رهنها، فإذا كان حبّ الدّنيا، وحبّ النّفس أمرين طبيعيّين، لابدّ أن يُعالجا بحيث ينفع الإنسان ما يضرّه، حبّك للدّنيا وحبّك لنفسك لابدّ أن نُعالجهم بطريقة ما تصل بنا إلى أن تضرّنا. (تضرّنا) يعني ماذا؟ تضرّنا في ديننا، تضرنا في الآخرة.

معنى ذلك: لابدّ أن نستثمر حبّنا للدّنيا، وحبّنا لأنفسنا، فيما يُنجّينا عند ربّنا.

---

(١) آل عمران: ١٤.

ونضرب أمثلة: كيف أعامل نفسي في مثل هذا الموقف، وأستعمل حبّي للدّنيا فيما يُقرّبني إلى الله؟ تذكّري مثلًا: في سورة الإنسان، لمّا وصف الله الأبرار، قال عنهم إنّهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾[1]، ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾، يعني لا تتصوّري أنّ المطلوب منك أنّك لا تحبّين الطّعام لكن ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾.

فإذا كانوا ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾. إذًا: استفادوا من حبّهم للدّنيا للقربى لربّ العالمين.

إذًا: أنت من الطّبيعي أن تحبّي الدّنيا، ما هو المطلوب منك؟ أنّ كلّ شيء تحبّينه تستعملينه للقربى، وهذا ليس فقط عمليًّا؛ وإنّما حتّى في شعورك القلبي -وقد مرّ معنا، ليس في هذا الباب؛ وإنّما في الباب الّذي قبله- قال النبي: «لا يُؤمنُ أحدكم حتَّى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسهِ»[2].

الآن ستقولين: (من الطّبيعي أن أحبّ أن أكون في راحة، أحبّ أن أكون في رفاهيّة، أحبّ أن أكون بعيدة عن المشاكل، أحبّ كذا من الأمور)، هذا الّذي تحبّينه امشي فيه بصورتين الآن على الأقلّ -وليس هاتان الصورتان فقط؛ وإنّما القرآن مليء بالصّور الّتي تمشين بها فيما تحبّين من أمور الدّنيا-:

الأمر الأوّل: أنّ الّذي تحبّينه أنفقي منه:

---

(١) الإنسان: ٨.

(٢) أخرجه البخاري (١٣).

⇐ هل تحبّين الكلام الطيّب؛ تحبّين أن يكلّمك النّاس كلامًا طيّبًا؟ هيّا أنفقي منه.

⇐ هل تحبّين أن يعاملك النّاس معاملة طيّبة؟ أنفقي ممّا تحبّين.

⇐ الّذي تحبّينه أنفقي منه.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾، فأنت الآن تحبّين الشّيء الطيّب، فأنفقي من الطيّب:

- الطيّب هذا حسّيًا.
- الطّيّب هذا معنويًّا.

تحبّين أن تأخذي حقوقك ولا أحد يتأخّر عليك فيها؟ هيّا أنفقي من هذا لأنّ هذا من أحد أسباب العداوات: بأن يكون حقّي عندك، وأنت تبخلين عليّ بحقّي، بمعنى: أنّ الإنسان يكون صاحب حقّ، ويجد أنّ حقّه الّذي عند الطّرف الثّاني يتجاهله تمامًا وكأنّه ليس صاحب حقّ

وهذه هي النّفس: تأتي عند الحقوق، ويكون هناك شيطان مسيطر على الإنسان، فيبخل بحقوق النّاس أن يعطيهم إيّاها وأبسطها السّلام. هل رأيتنّ: (السّلام عليكم ورحمة الله)؟ -وهذا سيكون بالنّسبة لنا من أسباب العلاج بعد ذلك- من أسباب علاج العداوات السّلام. السّلام

أليس من حقّ المؤمنين؟ هل تعرفن ما معنى أنّه من حقّ المؤمنين؟ يعني يوم القيامة النّاس يأخذون حقوقهم، وهذا من حقّه الّذي مررت عليه، أنّك تقولين له: (السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته)؛ فحين لا يُعطى الحقّ تحصل العداوات.

المهمّ: أنت ماذا تحبّين؟ الّذي تحبّينه أنفقي منه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، فالّذي تحبّينه أنفقي منه، وهذا أوّل الحلول لكيلا يتحوّل حبّنا للدّنيا، وحبّنا لأنفسنا، لدوّامة أنانيّة، إنّما ننظر لحبّنا للدّنيا، وحبّنا لأنفسنا أنّه وسيلة، كما قالوا لقارون: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾[1]، كلّ الّذي أعطاك الله إيّاه هنا، ابتغِ به الدّار الآخرة. **فهذا الأمر الأوّل**: نحن نحبّ الدّنيا ونحبّ نفوسنا. العلاج: أن تجعل حبّك للدّنيا سببًا للإنفاق منها، كلّ شيء تحبّينه في الدّنيا أنفقي منه؛ سواء كان هذا يتّصل بالمال، أو بالأخلاق الحسنة، أو بإعطاء النّاس حقوقهم، أو بالسّلام، أو بما يكون.

الأمر الثّاني: ألست تحبّين نفسك؟ وتحبّين لنفسك الخيرات؟ حتّى في تفكيرك، تحبّين دائمًا أن تأتي لنفسك بالخيرات، وتحبّين أن يتّسع شأنك، وأن تكوني في انشراح من الصّدر، وفي بعد عن الغمّ والهمّ؛ **فإذًا**: أحبّي لأخيك ما تحبّينه لنفسك؛ وبهذا على الأقلّ يكون أيّ تفكير في الدّنيا يسبّب لنا سلامة الصّدر على إخواننا، يعني

---

(١) القصص: ٧٧.

- أيّ شيء تحبّينه تقولين: (يجب عليّ أن أنفق منه).
- أيّ شيء تحبّينه لنفسك تقولين: (من أجل أن أكون أنا كاملة الإيمان لابدّ أن أحبّه لغيري.)

فهذا فيه علاج من التّعلّق بالدّنيا، وإحساس أنّ الدّنيا لي، وأنّه إذا أنا ما ربحت هذه الدّنيا فلا يربح بعدي أحد **فهذه هي العداوة**: أنا أجد فرصة تجاريّة -مثلًا- أجد فرصة لأيّ شيء خيّر، أيّ شيء طيّب، أيّ شيء أجد فيه تخفيضات في أيّ مكان؛ هذا أمر يتّصل بالدّنيا إذا كنت أفكر بالطّريقة الصّحيحة الّتي لا توجد فيها عداوة، أبحث عن النّاس الّذين في نفسي كدرٌ عليهم -فالآن ستعالجين نفسك واقعيًّا- بالذّات، وتحبّين لهم ما تحبّينه لنفسك، يعني أنت المفترض هذه الدّائرة: أنّك تحبّين للآخرين ما تحبّينه لنفسك؛ دائرة واسعة تشمل كلّ النّاس، لكن من أجل أن تغسّلي قلبك من العداوة؛ فإنّ الشّيء المحبوب لك في الدّنيا، لابدّ أن تفكّري بعقلك مرّة، واثنين، وعشرة، أنّك لابدّ أن تُلزمي نفسك أن تحبّيه لهذا الّذي في قلبك عداوةً له، لابدّ من أجل أن تكوني كاملة الإيمان، لأجل أن تكوني في طريق المؤمنين، لأجل أن ييأس الشّيطان من أن يُثيرك ويُحرّشك.

مثلًا: إذا وجدت في نفسك ضيقًا، ولم تقدري أن تحبّي لأخيك ما تحبّينه لنفسك، فلابدّ من التّوبة والاستغفار، وسؤال الله الإعانة على الشّيطان؛ لأنّ النّفس الإنسانيّة ما تصير في هذه الدّرجة من التّحرّش، يعني تصير تتحرّش بالآخرين، وتصير محرّشة تمامًا؛ بحيث أنّها ما تستطيع أن تحتمل أن يرد الخير للغير إلّا حين يكون الشّيطان قد تملّكها، وصارت الدّنيا أكبر الهمّ، وصار الإنسان يُثير على نفسه العداوات، ويُغلق على نفسه باب المغفرة

فأنت الآن لابدّ أن تعرفي: أنّ هذه الكبيرة في القلب، وعلاجها في القلب أيضًا، فهي كبيرة قلبيّة وعلاجها في القلب.

ماذا نفعل؟ حبّ الدّنيا، وحبّ النّفس، لا يمكن الخروج منهما؛ حبّ الدّنيا، وحبّ النّفس، من المفترض أن يحملاك على أن تنتفعي بالدّنيا وبنفسك في سبيل الله. وبالنّسبة للعداوة هنا؛ حبّ الدّنيا، وحبّ النّفس، يجعلان الإنسان يريد لنفسه الخير ولا يريده للغير، حتّى أنّه من الممكن أن يمرّ على خاطرنا بأنّ فلانًا هذا ممكن أن يكتشف هذا المكان، أو يعرف هذه الفرصة، فنغتمّ لمجرّد كوننا نتصوّر أنّه ممكن أن يُشاركنا في هذه الأمر.

هنا ماذا نحتاج؟ نحتاج أن نُغذّي أنفسنا بالإيمان بالقضاء والقدر. يعني في الدّنيا، الّذي تحبّينه أنفقي منه، وحبّي لأخيك ما تحبّينه

لنفسك، وجاهدي جاهدي حتّى تحبّي لأخيك ما تحبّينه لنفسك، وهذا الكلام يُقال خاصّة عن من -لأجل أن نعالج العداوة- في القلب له عداوة، عن الشّخص الّذي بيني وبينه قد حرّش الشّيطان، هو الّذي أستحضره في عقلي و أتمنّى لهذا عينًا أن يأتيه الخير كما أتاني.

وأنت تصوّري: أحدًا يأتي يقول لك مثلًا: (هناك فرصة أن تستفيدي ريالًا أو ريالين)، قلتِ له بأنّ: (المكان بعيد وما يُناسبني)، وبعد ذلك تذكّرت في خاطرتك أنّ هذا المكان الّذي يمكن أن يستفيد منه الإنسان، بجانب أحد أنت في نفسك عليه عداوة، هيّا الآن جاء الجهاد: هل ستعطين أختك هذه الفرصة؟ سواء استفادت أو لم تستفد، فنحن ليس لنا علاقة؛ **نحن نقول**: كما عُرضت علينا الفرصة وصارت ما تناسبنا، لكنّها فرصة فدعني أعرضها على القريب. من الممكن أن تنجحي في أوّل الأمر، وبعد ذلك حين يستجيب ويجد نفسه انتفع، فتقوم النّار فتكون في القلب قويّة ومن الممكن أن يدخل كذلك المنّ: (فإنّي أنا الّتي أرشدتها وأنا الّتي علّمتها وأنا الّتي فهّمتها) فكلّ هذا يحتاج إلى الإيمان بالقضاء والقدر.

ماذا سيفعل الإيمان بالقضاء والقدر؟ الإيمان بالقضاء والقدر أعظم مسكّن للمنافسات، ولحرقة فوات شأن عليك، وذهابه لغيرك. يعني حين تؤمنين بالقضاء والقدر؛ تبَّردين به مشاعر فوات الشّيء

منك وذهابه لغيرك؛ لأنّ هذا هو الّذي يأتي بالعداوات، أحيانًا كثيرة يحصل أنّ أحدًا يأخذ من أحد شيئًا بمبلغ زهيد، ثمّ الله يقدّر أنّ هذا الشّيء يرتفع ثمنه، فيقع في قلبه فالشّيطان الآن يأتي له بالعداوات، يقول له: (كان يعلم أنّه سيرتفع ولم يبلّغني) ولذلك ستأتينا الظّنون، ومن علاج العداوات قطع الظّنون.

سنفترض أنّه كان يعرف ولم يقل لك، أو ما كان يعرف وربّنا قدّر ذلك؛ لن يُعالج هذه الحرارة أن تذهبي للمحاكم وتقولي: (غبنني، وكذب عليّ) لأنّ كلّ هذا الجري سيأتي في النّهاية بأنّه ليس لك شيء، ولن يُعالجه إن أنت اشتكيت هنا وهنا: (كذب عليّ وفعل) لن تخرجي بنتيجة، إنّما هذا كلّه سيزيد العداوات والنّار.

والحل؟ أن تؤمني بالحديث الّذي قاله النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لابن عباس: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ»، والله ما كان سيضرّك، ولا يستطيع أن يضرّك، «إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ»، ابتلاء «عَلَيْكَ»[1]، ابتلاء عليك أنّه يجري على يديك؛ وهنا معرفة حقيقة وظيفتنا في الحياة. وهذا الحديث يُخرجنا من المسألة الأولى، ويُدخلنا في الثّانية.

(١) أخرجه أحمد (٢٦٠٠).

نحن ألم نقل إنّها ثلاثة أمور: نعرف الدّنيا، والآخرة، ومعرفة حقيقة وظيفتنا؟ فالآن نحن هنا في الدّنيا، لو اجتمع النّاس على أن يضرّونا؛ لن يضرونا أبدًا وبعد ذلك أتى الاستثناء: «إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ»؛ إذًا: معنى ذلك: يمكن أن يأتي أحد من النّاس، والله يبتلينا بأن يأتينا الضّرر من ورائه، ويكون سببًا للضّرر، الله ابتلانا به؛ وهذا أكثر شيء تأتي منه العداوات؛ يصير:

- ✓ الإيمان بالقضاء والقدر.
- ✓ ومعرفة حقيقة الدّنيا.
- ✓ وحقيقة النّاس.

فالأمر الأوّل أنّنا لابدّ أن تعرفي حقيقة الدّنيا ولابدّ أن تعرفي أيضًا حقيقة البلاء الّذي في الدّنيا؛ أنت تُبتلين بالنّاس، والله قد قال في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[1]، أتصبرون؟ هو الّذي ابتلى بعضنا ببعض أن نكون فتنة، ابتلى الرّجل بزوجته، والزّوجة بزوجها، ابتلى الأب بأولاده، والأولاد بأبيهم، الأمّ بأبنائها والأبناء بأمّهم، الجار بالجار، الإمام في المسجد بالمصلّين، المصلّين بالأمام، المعلّم بطلاّبه، الطّلاب بالمعلّم، يعني بكلّ التّفاصيل النّاس فتنة لبعضهم، فحين تفهمين هذا لا تنسي حديث ابن عباس، لا تنسي أنّه

(١) الفرقان: ٢٠.

لن «يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» وأنّ الاختبار والصّعب في المسألة أنّ الضّرر آتيك آتيك، وهو ابتلاء عليك، والدّنيا ليست دار سلامة أبدًا، ليست دار سلامة من الآفات، وإلّا ما كان الله قال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾[1]، ﴿دَارِ السَّلَامِ﴾: السّالمة من الآفات عند ربّ العالمين، لكن هنا ليست بدار السّلامة، فإذا جاء الضّرر، وجاء عن طريق أشخاص؛ لابدّ أن تعرفي أنّه واقع، واقع، إلّا أنّ اختبارك أنّ هذا الّذي وقع على يديه يجب أن تخفّفي حدّة عداوته، تخفّفينها، تخفّفينها، حتّى تُصبحي ما ترين وراء ذلك إلّا الله، وتقولين: (قد ابتلاني الله، وأنا راضية بالله)، يعني نحن لا نقول لك من أوّل لحظة ينزل البلاء ستفكّرين بهذه الطّريقة، لكن لحظة بلحظة أعطي نفسك فرصة أن تُسقطي هذا، وما تذكري إلّا أنّ الله ابتلاك. يعني هناك أمور -الله يحفظنا، ويحفظ ذرّياتنا، ويجعلنا من الصّابرين الشّاكرين- يفقد الإنسان فيها صوابه، يكون شابًّا وفي مقتبل العمر، ماشيًا على أرجله، ولم يؤذِ أحدًا، وهذا خارج في الحارة بصورة جنونيّة، ويصدمه ويميته فأنت الآن ما أمامك إلّا -الله يحفظنا ويحفظ ذرّيّاتنا- الفاعل، فيُنسى القضاء والقدر، ويصير الفاعل هو الّذي أمامك

(١) يونس: ٢٥.

في مثل هذه المواقف نقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1]، الله هو الّذي يُصرّفنا، الإيمان بالقضاء والقدر يهوّن الأمر، من بداية الأمر يصعب على الإنسان احتمال مثل هذا، لكن يعطي نفسه فرصة أنّه ما يُشعل نار العداوة، وأنّه يُهَّدئ نفسه إلى أن يُسقط الأشخاص، يعني ما يفكّر فيهم، ولا يتكلّم عنهم، ولا يتكلّم عن التّفاصيل في أمر قد قُضي؛ ويفكّر في أنّه كان سيكون، سيكون، وأنّ هذا أمر الله، وأنّه هنا دار الابتلاء، و«أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ...، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ».

نحن نقول هذا الكلام، وهو في وقت إيقاعه حقيقةً أصعب ما يكون، نعم، أصعب ما يكون لكن لابدّ أن يُمرن الإنسان نفسه على الأمور اليسيرة، والله يعينه على الكبيرة، يستعين بالله في الصّغير، والله -عزّ وجلّ- سيوفّقه ويُعينه على الكبير، لكن لا تتركي قلبك مكانًا ترتع فيه الآثام، وترتع فيه الأحقاد.

المقصد الآن: إنّ معرفتك للحياة الدّنيا معرفة حقيقيّة، وأنّه من الطّبيعي أن تحبّي نفسك، ومن الطّبيعي أن تكون نفسك تهمّك، والدّنيا تحبّينها، لكن لا تنسي أنّه لا يوجد شيء يجري إلّا بقضاء الله، ولا يوجد شيء ستكسبينه إلّا بقضاء الله، ولا شيء سيمرّ عليك ويفوتك إلّا ولأنّه لم يُكتب لك ولا يوجد شيء يصلك إلّا وقد كُتب لك؛ فإيمانك بالقضاء

(١) البقرة: ١٥٦.

والقدر، سيجعل قلبك قادرًا على أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه؛ إيمانك بالقضاء والقدر سيجعل قلبك راضيًا حال ما يقع عليك المصاب -نسأل الله أن يجعلنا ممّن إذا أُبتلي صبر، وإذا أُعطي شكر، اللّهمّ آمين-.

إذًا: ماذا نحتاج؟ نحتاج إلى أن ننتفع من حبّنا للدّنيا وحبّنا لأنفسنا.

- ✓ أيّ شيء تحبّينه في الدّنيا أنفقي منه.
- ✓ وكلّ شيء تحبّينه لنفسك وتتمنينه لنفسك، تمنّيه لإخوانك المسلمين، وأرغمي نفسك أن تتجاوزي هذه الصّعوبة، وتتمنّيه للّذي في نفسك عليه عداوة، أو في نفسك هناك حرج منه.

وقد يحصل أحيانًا أن يكون هذا شابّ، وجرّه الشّباب إلى المصائب، فقلبك مليء حقدًا على أصحابه لكن: ألست تتمنّين لولدك الصّالح من الأمور؟ تمنّي له ولأصحابه؛ وكلّ هذا يسبّب سلامة القلب لك.

ولا تبخلي على المسلمين، وسّعي دائرتك أنّه يصلح هو، ويصلح أصحابه، ويصلح شباب المسلمين، بأن ينتفع هؤلاء، وينتفع الجماعة كلّهم، والمسلمون والمسلمات، بمعنى: كلّما أرغمت نفسك أن تأتي إلى مواطن العداوة، وتتمنّى الخير لأصحابها من عند ربّ العالمين، سيخسأ شيطانك.

وهذا العلاج نفسه ينفع مع الحسد أيضًا؛ لأنّك حين تقولين مثلًا: (هم وصلوا وأنا ما وصلت) ابتدأنا سويّا، وكلّنا نعمل في نفس المجال: (هم كتبوا وأنا ما كتبت، هم عملوا وأنا ما عملت، هم نجحوا وأنا ما نجحت).

كيف تغيظِين الشّيطان الّذي يُثير عليك هذا؟ قولي: (الله يبارك لهم، ويوفّقهم، وينجّحهم).

أوّلًا: الملك سيقول لك: «وَلَكَ بِمِثْلٍ»[1].

ثانيًا: بمجرد أن يجدك الشّيطان ستحوّلين هذه العداوات إلى دعاء، ورغبة، سيهرب مباشرةً، ولن يُذكّرك لأنّه:

- سيتحوّل إلى حسنات لكِ، وصلاح لهم، وهذا هو الّذي يكرهه.
- وسيتحوّل هذا الشّأن إلى معالجة للقلب، وهو يبغض أن يُعالَج القلب.

فلا تنسي: في هذه القضيّة كلّها، ونحن نفكّر في الدّنيا، أنّ الشّيطان:

- من أكثر ما يُثيرنا عداوةً لإخواننا المسلمين.

(١) أخرجه مسلم (٥٠٤١).

⇐ ومن أكثر الأسباب الّتي تجعل الأمور الصّغيرة التّافهة عظيمة.

معنى هذا: أنّنا لن نتجاهل أبدًا ما نجده في أنفسنا من عداوات، في النّقطة الأولى الآن:

- لا تتجاهلي العداوات.
- واعرفي أنّه من الطّبيعي أن تحصل في النّفس تنافسات مع النّاس؛ لأنّنا نحبّ الدّنيا ونحبّ أنفسنا، ومن أجل أن تتخطّي هذا:
  - ✓ أنفقي ممّا تحبّين في الدّنيا.
  - ✓ وتمنّي لهؤلاء ما تحبّين خاصّةً الّذين تعاديهم.
  - ✓ وآمني بالقضاء والقدر، أنّ إنفاقك ممّا تحبّين، وحبّك الخير لهم؛ لن يُنقص أبدًا، ممّا كُتِبَ لك؛ فنصيبك هذا ستأخذينه كاملًا مُكَمَّلًا ما ينقص منه شيء، وتزيدين على ذلك أنّك مأجورة في تمنّي الخير للغير.

ثمّ إنّنا نحتاج هنا في معرفتنا للدّنيا: أنّ هذه الدّنيا تتلوّن في المحابّ -فهذا أيضًا شيء مهمّ جدًّا في تصوّرنا للدّنيا- تصوّري: هذه شابّة عمرها ثلاثون سنة، الآن تتذكّر كيف كانت تتنافس وتتخاصم

وتتضارب مع صديقاتها اللّاتي كُنَّ في المرحلة المتوسّطة. ماذا ستقول على نفسها حين تتذكّر المرحلة المتوسّطة والمنافسة الّتي فيها؟ وكيف أنّها كانت تأخذ دفاترهنّ وتخبّئها؟ أو كانت تمزّق دفاترهنّ؟ انظري إلى الحقد أين وصّلها؟ فقد وصّلها إلى المكر حين تكبر ماذا ستشعر تجاه هذه الأشياء التّافهة؟ تلوّنت الأشياء أصبحت ما لها قيمة.

فهذه هي المشكلة: أنّ الّذي تحبّينه اليوم، وتتضاربين عليه، وتشعرين أنّك ستُعادين النّاس من أجله؛ غدًا يصبح لا قيمة له هذه هي الدّنيا.

فإذا فهمت هذا من الدّنيا؛ دائمًا أعيدي على نفسك: (إنّ هذا اليوم مهمّ، لكن غدًا لن يكون له أهمّيّة ولا يمكن أن نعيد الأيّام، قد نكون خسرنا النّاس، وقد نكون عاديناهم على شيء تافه، وقد نكون اختصمنا على شيء لا قيمة له، فلا يمكن إعادة الأيّام، وإعادة سلامة الصّدر يعني تكنّ موظّفات سويّا، وتكدن لبعضهنّ حين يشبعن رغم أنّهنّ بعد سنة أو سنتين يخرجن إلى التّقاعد، ولا زالت العمليّة مستمرّة ولا زالت العداوة مستمرّة ولازلن من الممكن أن يَمْرُرْنَ بجانب بعضهنّ ولا يسلّمن على بعض!

بعد قليل كلّ هذا الميدان ستتركينه وستنفضين يدك منه والأيّام لا تعود إلى الوراء والإصلاح ليس بسهل وبعدما ننتهي من هذا كلّه، لا

يمكن أن آتي وأقول: (هيّا يا جماعة انتهينا من الميدان، ومن الأحقاد، ومن كلّ شيء، فنفتح صفحة جديدة!) ليس بهذه الطّريقة الدّنيا ولا أحد أصلًا سيسمع لك هذا الكلام.

فأنت كلّ مرّة تقولين لنفسك: (على ماذا أنافسهم؟ على الدّنيا؟ على الكرسي؟)، كلّها لا تساوي وأنت تعيشين قبل أن يأتي الموت فإنّ الّذي نتضارب عليه اليوم، ونتخاصم عليه، ونراه شيئًا، غدًا لا شيء.

وأضرب لكنّ مثلًا متكرّرًا دائمًا يصير: النّاس في الحرم في اللّيالي الوتريّة، والغير الوتريّة، في العشر الأخيرة خاصّةً، **انظري**: لهم كيف يقيمون حربًا على الأماكن وخصوصًا النّساء، أمّا الرّجال يكون الأمر عندهم أهون قليلًا، لكن عند النّساء مشكلة كبيرة، ليلة العيد في العشاء، ولا أحد في المكان، تقولين للنّاس: (تعالوا قفوا معنا في الصّفّ)، تناديهم من الوراء من أجل أن يقفوا معك في الصّفّ فلا يأتون فهذا الّذي كانوا بالأمس يتحاربون عليه، وهو الآن دين وقربى، لكن اليوم ماذا حصل؟ تركوه زهدوا فيه تغيّرت الأمور سبحان الله فهذه هي الدّنيا: اليوم معركة، وغدًا تنفضّ الأيدي من الأشياء وبعد ذلك هم يغيّرون طبعًا، أقصد: أنّه إذَا هم تركوا الحرم، وتركوا صلاة التّراويح، فلا يوجد هناك صلاة تراويح أين يذهبون يتزاحمون؟ في

السّوق، في السّوق ممكن أن أتكلّم عن مكّة، قد تجدينهم يتزاحمون في السّوق، أو في أيّ مكان آخر.

المقصد الآن: تخيّلي هذه الدّنيا، اليوم النّاس على هذا مختصمون، وغدًا يفضّون أيديهم ويذهبون إلى الثّاني فلا يستحق هذا الّذي غدًا سنفضّ أيدينا منه أن نكوّن منه اليوم أحقادًا.

أمّا في شأن الحرم فهم ذاهبون إلى الصّلاة، فمن المفترض أن يكون عليهم السّكينة والوقار، والّذي لا يجد له مكانًا يسأل الله أن يرزقه، ويذهب إلى أيّ مكان طارئ.

لكن في الدّنيا النّاس يشعرون أنّه من الطّبيعي إذا لم أجد لي مكانًا فإنّي إذا لم آخذها منك لن تأتيني يعني إذا ما أخذتها بقوّة الأسد ما تأتيني (وإن لم تكن ذئبًا أكلتك الذّئاب) وخذي من هذه الأمثال الّتي تحوّل الدّنيا إلى مجرّد غابة ومعركة وحرب.

الّذي يَسْلَم صدره؛ يجد نفسه واثقًا -من أجل الإيمان بالقدر- أنّ هذه اللّقمة الّتي كُتبت لن ينزعها أحد، فما يُنازع أحدًا في الدّنيا؛ وهذا من سلامة الصّدر، وقوّة الإيمان.

إذًا: سنتّفق على أنّ الّذي يعيش في الدّنيا ويعرف حقيقتها، يعرف: أنّ الإيمان بالقضاء والقدر يُذهب من القلب حرارة خوف فقد الأشياء، الّتي غالبًا تأتي بالعداوات، أو ما يُشبهها، فليس شرطًا فقد

الأشياء، أحيانًا يشعر الإنسان أنّ هؤلاء النّاس يحتقرونه، وأنّهم ما يعطونه فرصته في الكلام، ما يعطونه مكانته، بهذه الطّريقة فهو يفكّر في نفسه، حين يجد الأشياء حوله ضدّه، ماذا تكون النّتيجة؟ يقع في فؤاده أنّه يبغضهم يكرههم ما يتمنّى لهم الخير **لابدّ أن يعرف**: أنّه راحل وهؤلاء النّاس راحلون والوقت الّذي أنا محبوسة معك فيه، أنت ستمرّ عليّ وسأمرّ أنا عليك يعني نحن فقط نمرّ على بعضنا البعض، حتّى الإخوة الأشقّاء، حتّى الوالدان وأولادهم، حتّى الأمّ وأبناؤها، كلّ النّاس بهذه الطّريقة، فأنت مجرّد شخص أمرّ عليك وأنت تمرّ عليّ، هذه هي الحقيقة فلا تجعلي هذا المرور إلّا مرورًا فيه الطيّبة والأخلاق، وقولي لنفسك دائمًا: (هذه دنيا والله أعلم متى نعود فنجتمع؟ لا تخرجي ويخرج من اللّقاء، وفي نهاية الأمر نجتمع عند الله ونتخاصم لماذا في النّهاية تكون العلاقات بيننا وعند الله تجتمع الخصوم؟ لماذا نجتمع متخاصمين عند ربّ العالمين؟ لماذا لا نجتمع طيّبين مباركين عند ربّ العالمين؟ وإنّه مهما فعل من كيد ومكر وخديعة لن تعود إلّا عليه لابدّ أن تعرفي: أنّها ستعود عليه فأنت إذا اطمأننت:

- ✓ ستعود عليه.
- ✓ وما كُتب لك لن يُنازعك أحد فيه.

فإذًا: سَلِّمِي صدرك.

وانظرن: إلى إخوة يوسف، وقع في نفوسهم الكراهيّة والعداوة لأخيهم، لشأن ليس في يد والدهم، **وهو**: المحبّة يعني أنت لا تظنّين أنّ يعقوب -عليه السّلام- ظلمهم، هم يلمحون المحبّة، والمحبّة هذه قسمة ما لنا فيها حتّى مع الأبناء، وحتّى مع الزّوج لزوجاته، هذا شيء ليس بيد الإنسان.

هم الآن يخاصمونه على شيء ليس في يده، على قسمة ليست بيده فماذا يفعلون من كثرة الكراهيّة الّتي وقعت في نفوسهم؟ وصلوا إلى أن يوسوس لهم الشّيطان -وما هو إلّا وسواس شيطاني يُلحّ عليهم ويُلحّ عليهم-: (أنّ حياتكم لن تنصلح إلّا إذا تخلّصتم منه).

فلابدّ أن تعرفن: أنّ **"العداوة والبغضاء"** تؤدّي إلى المكر والكيد، ثمّ لمّا كادوا ليوسف -عليه السّلام- كان كيدهم طريقًا لرفعة يوسف وبقي يوسف -عليه السّلام- [سليم الصّدر]، حتّى لمّا عادوا ورأوه في مصر، وأتت تلك الحيلة في أن يظهر أخوه كأنّه سارق، قالوا عنه: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾، ماذا قال لهم؟ ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾[1] فمعنى هذا: أنّ قلبه لم يكن مليئًا عليهم إلى أن نصل إلى آخر موقف، ماذا قال عليهم؟ ﴿نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾[2] اعتبر كلّ ما في هذه السّورة من المواقف والأحداث، بأنّه نزغ شيطاني وهذا كلّه

(١) يوسف: ٧٧.

(٢) يوسف: ١٠٠.

لأنّ القضاء والقدر لن يتخلّف، سيقع سيقع، لكن كلّ واحد فينا يجري عليه القضاء والقدر بصورة لها أسباب، والأسباب هذه تبيّن ما في القلب. القضاء والقدر لن يتغيّر، لكنّه يكشف ما في القلوب، يكشف ما في الصّدور، يوسف -عليه السّلام- كان طريقه للوصول إلى هذا كاشفًا لما في قلوب إخوته، طريقه إلى الملك كان كاشفًا لما في صدور إخوته.

فهذا المكر والكيد؛ إنّما هو ناتج ما يقع في القلب من الأحقاد، فيظنّ الإنسان أنّ هذا الّذي يُعاديه، سيؤذيه حتّى يبرد قلبه، ما يدري أنّه أيّ أذيّة تصدر من الحاقد، من الكاره، من الباغِض، للطّرف الثّاني؛ فإنّ الله وليّ الثّاني ويدافع عنه، وكلّ مكر يقوم به هذا فإنّ الله سيجعله في صالح هذا، وكلّ تصرّف يظنّ أنّه سيقلبه عليه، الله -عزّ وجلّ- يقلبه ضدّ الأوّل، وهذا من ولاية الله -عزّ وجلّ- لخلقه.

وفي الحديث: «أَنَّ رَجُلًا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- جَالِسٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ، قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ،

فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ»[1].

فالمقصد الآن: أنّ مثل هذه الأمور الّتي تثير الأحقاد، لا تُبادليهم الأحقاد، تقولين: (أنا أرى في أعينهم كذا، أنا أرى أنهم يمكرون يفعلون)

- ✓ ولِّي شأنك الله.
- ✓ وآمني بالقضاء والقدر.
- ✓ واعلمي: أنّ كيدهم ما هو إلّا طريق لفلاحك.
- ✓ لا تثيري نفسك أنت بالأحقاد، ولا تجعلي أهل الأحقاد يثيرونك، يعني أنت لا تُستثارين من الشّيطان، ولا تجعلي أهل الأحقاد يستثيرونك.

هذا بالنّسبة للأمر الأوّل والأمر الثّاني. الأمر الثّاني نزيده وضوحًا، الّذي هو في التّرتيب كان في الكلام هو الأمر الثّالث، الّذي هو: وظيفتنا في الحياة.

من أجل أن نغسل قلوبنا من الأحقاد ومن البغض والكراهية، لابدّ أن نُذَكّر أنفسنا:

---

(١) أخرجه أحمد (٩٤٥٩).

⇐ أنّنا على الدّنيا ضيوف، سائرون، مارّون، لسنا بخالدين.

⇐ وأنّ أحوالنا في هذه الدّنيا إنّما مكتوبة قبل أن يخلق الله السّماوات والأرض بخمسين ألف عام.

فإذا آمنّا بالقضاء والقدر عرفنا أنّ وظيفتنا هي:

✓ الصّبر على البلاء.

✓ والاستعانة بالله.

✓ والعلم أنّ الخلق بأنفسهم من الابتلاءات، فما يجري على أيديهم من بلاءات وظيفتنا معه الوظيفة الشّرعيّة.

ماهي الوظيفة الشّرعيّة حين يأتي بلاء من أحد؟

⇐ إذا كنت تستطيعين ردّه ودفعه فادفعيه بالّتي هي أحسن.

⇐ وإذا وقع البلاء ولا تستطيعين دفعه ما لك إلّا الصبر، والاستعانة بالله.

وفي هذا فليُعلم: أنّ الخوف من ضرر الخلق شيء طبيعي، يدفعه الإنسان:

✓بقوّة الاستعانة بالله.

✓وبقوّة التوكلّ على الله.

وفي آل عمران النّاس قالوا للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وأصحابه: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾[1].

كان هذا سببًا لزيادة الإيمان، كيف ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾؟ بمجرد أن وقع في قلوبهم الخوف:

✓استغاثوا بالله.

✓استعانوا بالله.

✓جدّدوا إيمانهم بقضاء الله.

✓طلبوا الأسباب الّتي تزيد الإيمان.

من أجل أن يواجهوا المخاوف. فأنت من الطّبيعي أنّك تخافين.

موسى -عليه السّلام- خاف، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[2]، فمن الطّبيعي أن يقع في قلب الإنسان الخوف، لكن يأخذ الأسباب الصّحيحة، لا أن تتحوّل مخاوفه إلى مجموعة أحقاد وكراهية وبُغض. يفعل مثلما فعل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وأصحابه، قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

---

(١) آل عمران: ١٧٣.

(٢) القصص: ٢١.

فهذه الأحقاد والبُغض والكراهية بسبب الخوف، أو بسبب إحساسك أنّه سيُنزع منك حقًّا، أو سيأخذ منك كذا؛ كلّها من أجل الدّنيا لا زال الكلام فيها من أجل الدّنيا **فاعلمن**: أن الدّنيا بيد الله.

وانظرن: إلى تدبير الله كما في سورة الفيل، هؤلاء أتوا مُعادين لبيت الله، وحاربوا في الطّريق، وقاتلوا في الطّريق النّاس، ووصلوا إلى بيت الله، مُريدين أن يفعلوا به ما هو معلوم من هدمه وإزالته فكان الله هو الحامي لبيته، رغم أنّهم تمكّنوا من كلّ الأبواب الّتي قبله، يعني طوال رحلتهم من اليمن إلى مكّة، كانوا يقاتلون في هذا الطّريق.

لمّا عرفت العرب أنّهم أتوا لهذا الأمر، في بعض الرّوايات أنّهم كانوا يقاتلونهم فيقتلونهم ويهزمونهم، ومشوا، ومشوا، إلى أن وصلوا؛ **فهذه سنّة الله**: يوصل الخلق إلى أشدّ حال، ويرى منهم أشدّ اليقين والتّوسّل، ثمّ يعفو عنهم، ويزيل عنهم الكرب. فأنت ابقي واثقة في ربّ العالمين، وأنّ هؤلاء المعتدين ليسوا أهلًا للتّفكير؛ إنّما الأهل للتّفكير بأن تحوّلي هذا إلى عبادة وطاعة.

من قيل لهم: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ ماذا سبّب لهم هذا التّخويف؟ ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾، **بمعنى**: حوّلوا هذا الخوف لاستغاثة واستعانة ورجاء وجلبوا الشّجاعة الإيمانيّة في قلبهم، وقالوا

لأنفسهم: (لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا)، فهذا زادهم إيمانًا، بمعنى: ما انشغلوا بالعدوّ والبُغض له؛ إنّما انشغلوا:

- ✓ بالاستغاثة.
- ✓ والاستعانة.
- ✓ وطلب الله.
- ✓ وطلب الحماية.
- ✓ ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، يعني أنّه سبحانه وتعالى كافيهم.

لا زلنا نتكلّم عن العداوات الّتي سببها الدّنيا، أمّا العداوة الّتي سببها الدّين، وحبّ ربّ العالمين، وعداء كلّ من يتعدّى على الدّين، فهذه عداوة في مكانها؛ وإبراهيم -عليه السّلام- لنا خير نموذج، لكن نحن نتكلّم في كلّ هذا عن العداوات الّتي سببها الدّنيا.

كيفيّة معالجة ما يمكن أن يقع في قلوبنا

الآن نأتي إلى شأن الآخرة: هناك أمور كثيرة لابدّ أن نفهمها عن شأن الآخرة، من أجل أن نعالج ما يمكن أن يقع في قلوبنا.

فليُعلم أنّ الله قال: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾[1]، لابدّ أن يكون قلبه خاليًا من الأحقاد؛ بل لابدّ أن يسعى ليخلو قلبه من الأحقاد، فيأتي إلى الشّريعة ويرى ما هو العلاج.

فنبدأ بالعلاج السّلوكي الذي يتكون من ثلاثة أمور:

الأمر أوّل: السّلام على من عرفت ومن لم تعرفي:

فكّري في الآخرة، واعلمي: أنّ السّلام الّذي هو قول: (السّلام عليكم ورحمة الله)، من أسباب فشوّ المحبّة في المجتمع، فأنت إذا كنت تريدين الآخرة، وتريدين أن تسعي سعيها، لابدّ أن تعرفي: أن الله يحبّ منك أن تكوني محبّة لجماعة المؤمنين، فابدئي بالسّلام.

الأمر الثّاني: من أجل أن تُذهبي من القلب العداوات وما يحصل فيه تراكمات؛ لابدّ من الإعذار، وحسن الظّنّ بالمسلمين، وأكثر ما يُؤذي المسلمين بعضهم ببعض أن يبتلوا بسوء الظّنّ والمشكلة أنّ النّاس يرون سوء الظّنّ: (ذكاء وفطنة وأنّني أفهم النّاس وأعرف النّاس وأعرف أعينهم ماذا تقول) وهذا يقول لك: (هذه لغة الجسد) وهذا يقول لك: (إنّه يعرف من العين) ومن هذا الكلام الّذي يفتح على الإنسان بوّابة للشّيطان.

---

(١) الإسراء: ١٩.

فإذًا: إذا كنت تريدين الآخرة اسعي لها سعيها. ما هو سعيها؟ هنا في مسألة الكراهية والأحقاد، سعيها الّذي تزيلين به الأحقاد، وتفشو به المحبّة مع جماعة المسلمين:

- ✓أكثري من السّلام على المسلمين، على من عرفت ومن لا تعرفي.
- ✓وخصّي الّذي في قلبك شأن له بالسّلام، واستحضري قلبك فيه، وقولي له هكذا: (نسأل الله باسمه السّلام) -هكذا في نفسك- (أن يُنزّل عليك السّلامة والرّحمة والبركات)؛ لأنّ هذا دعاء: (السّلام عليكم ورحمة الله)، يعني أسأل الله باسمه السّلام، أن ينزّل عليك الرّحمة، والبركات. فإذا تعمّدت هذا المعنى، مع من في نفسك عليه شيء أزاله الله.

ثم نطرد من نفوسنا سوء الظّنّ؛ بل نبذل جهودنا في حسن الظّنّ.

الأمر الثّالث: الإكرام: نُكرم من في قلبنا عداوة له، يعني القلب غير محتمل له، أو هناك في القلب شيء، أكرميه، أكرميه بالكلام، أو أكرميه بالفعال، ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، واقهري بذلك الشّيطان، واسعي: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾، وسعيها خلاف شهوته، سعيها خلاف نفسه.

نحن كثير ما نقول: (لكن هؤلاء أناس ما يظهر فيهم الخير وأنت تُكرمينهم وهم يتلوّنون) طبعًا الشّيطان ما يُقصّر في هذا الموقف، يعني حتّى لو قلت لك: (حين تطبخين أطعميهم)، تقولين: (لا أنا أخاف أن يقولوا ربّما وضعت لنا سحرًا) لماذا تسيئين الظّنّ بهم؟ الله يهديكِ لماذا تكبّرين الموضوع لهذه الدّرجة؟ لماذا تتركين الشّيطان يقول لكِ كلامًا غير صحيح؟ **ولابدّ أن تعرفي**: أنّ الّذي تقولينه أنت، النّاس يقولونه عليك فركّزي لا يخطف الشّيطان منك كلمة تودي بك، كيف تظنّين بها هذا الظّنّ؟ (من الممكن أن ترمي الأكل الّذي أعطيته لها؟) أنت ماذا عليك؟ فأنت ليس قصدك التّغذية؛ وإنّما أنت قصدك الصّلة ألقته أو أكلته فأنت ليس لك علاقة؛ **المهمّ**: يدك «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»[1]، و«الْيَدُ الْعُلْيَا» هذه تمحو الآلام ستقولين: (لا فهي سترى بأنّي أحسن منها) أنت قدّري الأمر قدره، وتصرّفي بالطّريقة الّتي لا تودي بنا إلى مهالك ولا تصل بنا إلى مشاكل، **لكن**: ليس هناك مثل الإكرام، الإكرام الأخلاقي، والإكرام المادّي لو تيسّر ذلك، **واعلمي**: أنّ الإنسان -في الأصل- يُكرم من يُحبّ، فإذا أكرم من أجل الله مَنْ في القلب له بغض أو كراهية؛ مثل هذا لن يُضيّعه الله أبدًا.

نسأل الله أن يُذهب ما في نفوس المسلمين على بعضهم، ويجمع الكلمة، ويُذهب عنّا الشّتات، اللّهمّ آمين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩٠).

اللّقاء الثّامن والعشرون

٦ شعبان ١٤٤٠

باب الفحش

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكّلنا على الله، لقد انتهينا من **"كبيرة العداوة والبغضاء"**، واليوم نبدأ في الكبيرة الّتي تليها.

قال الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتابه الكبائر: (**باب الفحش**: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾[2].)

التّعليق على الدّليل الأوّل موطن سورة النور (١٩)

الآن هذه الكبيرة سمّاها صاحب الكتاب: **"كبيرة الفحش"**، وهذه الكلمة في لغة العرب، **يُقصد بها**: كلّ شيء استُقبح استقباحًا شديدًا، في الأقوال أو الأفعال أو الأحوال، فَيُقال عنه فاحش، بمعنى: أنّه

(١) النور: ١٩.

(٢) التوبة: ٩١.

مُسْتَقْبَح، فهذا قول فاحش، وهذا فعل فاحش، والله سمّى الزّنا الفاحشة، يعني أنّها أشدّ ما تكون استقباحًا.

الآن ونحن نتكلّم عن **"الكبائر القلبيّة"**؛ سنتكلم عن **"الفحش"** لأنّ الفحش هو الشّيء الّذي اشتدّ استقباحه، والنّفس الطّبيعيّة تستقبحه، والفحش إمّا أن يكون:

- ⇐ في القول.
- ⇐ أو في الفعل.
- ⇐ أو في الحال.

فكيف يدخل هذا في **"الكبائر القلبيّة"**؟

انظري للآية الّتي استشهد بها الشّيخ، وسيتبيّن لك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ إذًا: ليسوا الفاعلين ولا القائلين وإنّما هؤلاء وحدهم أصحاب كبائر، يُقصد بذلك مَنْ؟ من أحبّ في قلبه انتشار الفاحشة؛ وأحسن ما يبيّن لنا هذا المعنى ما ورد في سورة النّور، من الخبر عن أمّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وما حصل في حادثة الإفك، نحن الآن سنقرأ الآيات الّتي وردت في الكلام عن أمّ المؤمنين عائشة وعن حادثة الإفك، ونتصوّر هذه الشّخصيّة، الّتي تحبّ أن تشيع الفاحشة في الّذين آمنوا ما وصفها؟

لاحظي: لا يحبّ الفاحشة، **ولا يُقصَد هنا**: مَنْ مارس الفاحشة، فهذا مرتكب كبيرة أكيد، لكن نحن نتكلّم عن **"الكبائر القلبيّة"**.

هنا من عدوّنا الّذي ارتكب كبيرة؟ "الّذي يحبّ"، **معناه**: **"الكبيرة القلبيّة"** هي: **"حبّ أن تشيع الفاحشة"**، هذه هي الكبيرة.

ونحن حين نقرأ في الآيات سيتبيّن لنا، فالقصّة مشهورة وليس جديدًا علينا الكلام حولها، **لكن سنرى**: ما هذه النّفسيّة الّتي تحبّ أن تكون الفاحشة منتشرة بين المؤمنين؟ وكيف يمكن أن تكون واقعيًّا لها تطبيقات؟ واقعيًّا من -والعياذ بالله- الّذي يحبّ أن تشيع الفاحشة؟ **بمعنى**: واقعيًّا من الّذي يرتكب هذه الكبيرة؟ لكن أوّلًا نقضي هذا

لكن لاحظن ملاحظة واحدة: -وربّنا يمدّ في العمر ونتناقش في الباقي- الآية الثّانية الّتي أوردها: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

هذا معناه ضدّ الأوّل، النّاس الآن في المجتمع الإسلامي نوعان:

نوع -والعياذ بالله- منافق يحبّ أن تشيع الفاحشة.

صفي النّوع الثّاني بالآية؟ ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ **بمعنى**: مخلصون، يحبّون بقاء الدّين، ويحبّون إعلاءه، ويحبّون بقاء العفاف، والحياء، وكمال الأخلاق، فهم ناصحون لله ولرسوله.

الذي نصح لله ولرسوله هل ممكن أن يقع هو بنفسه في أخطاء وكبائر؟ هو بنفسه من الممكن أن يقع، لكنّه يكره أن تنتشر في العالم الإسلامي؛ **ولذلك يوجد فهم خاطئ للنّصيحة**: يظنّ الإنسان أنّه ما ينصح إلّا إذا كان هو خاليًا من كلّ ذنب، وهذه ما كانت حتّى لأبي بكر وعمر بأن يكونا خاليين من كلّ ذنب، يعني معصومان. **لكن المقصد**: أن تنصحي لأنّك تكرهين المنكرات، وإذا وقعت فيها تكرهين أن يقع أحد فيها.

وحين يقول كثير من أبنائنا: (أنتم فعلتم كلّ الّذي أردتموه، وفعلتم وفعلتم والآن تأتون تقولون لنا: ممنوع وممنوع؟) نقول: (نعم، لمّا أقدامنا وطأت نارًا وذقنا حرارتها كيف يكون في قلوبنا شفقة أن تطؤوها مرّة أخرى؟ لن يكون في قلوبنا شفقة، ولا نصح ولا إخلاص إذا تركناكم تعيدون نفس التّجربة)، لكن الشّيطان يلقي عليهم مثل هذه الحجج لأجل أن تقوى شهواتهم.

هذه الكبيرة بالذّات من الكبائر الخطيرة لأنّها هي بالضّبط ما ترينه من ضخّ -على الأجهزة وعلى المواقع وعلى الألعاب وعلى كلّ شيء- للفحشاء هذا الضّخّ العظيم الّذي ترينه إنّما بسبب حبّ إشاعة الفاحشة، فبعض النّاس يكونون من طمعهم في الدّنيا ومن حبّهم لها هم الواسطة لإشاعة هذه الفاحشة.

دعنا نبدأ بالآيات من أجل أن لا يتشتّت النّقاش، اليوم ننجز كلّ الآيات، وبعد ذلك في اللّقاء القادم ندخل في نقاش حول الضّدّ الّذين ﴿نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

سنبدأ أوّلا من الآية (١١) في سورة النّور:

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

أوّل هذه الآية وصفتهم باسم الموصول ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾، (الّذين) **معناه**: أنّ هؤلاء لهم شهرة في المجتمع الّذي نزلت فيه الآيات، ومن فضحهم باقي هذا الذّمّ لهم إلى قيام السّاعة وبقاء تلاوة القرآن.

﴿الَّذِينَ﴾، ومثلها الّذي هو الاسم الموصول، لا يأتي إلّا على شيء مشهور: (إنّ الّذين فعلوا كذا وكذا) يكون النّاس كلّهم يعرفونهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ والإفك **المقصود به**: أبلغ ما يكون من الكذب.

دعنا نكتب هذه الكلمات: ما معنى ﴿الْإِفْكِ﴾؟ أبلغ ما يكون من الكذب، **وهو**: البهتان. ولماذا سُمّي بهتانًا؟ لأنّه يفاجئك فالبهتان كلام ليس له أصل، وحين تسمعينه يفاجئك فأنت تبقين مندهشة منه

(١) النور: ١١.

فهؤلاء جاؤوا ﴿بِالْإِفْكِ﴾ والمقصود ما أفكوا به الصدّيقة أم المؤمنين، بنت الصدّيق، فراش رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

فهنا اللاّم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ مخصوصة في هذا الإفك الّذي حدث للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم. ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ بمعنى جماعة.

المهمّ في هذه المسألة: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، **دعنا نرى أوّلًا**: أين الخيريّة؟

أوّلًا: أنّ المؤمنين اكتسبوا في هذا الإفك الثّواب العظيم. أين كان الثّواب العظيم؟ كان ممّا حصل للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من حال، وممّا حصل لعائشة من حال وصبرهم، وما وقع من المؤمنين من إنكار؛ كلّ هذا يُعتبر من الخير. لماذا كان خيرًا؟ لأنّه كان بلاء واختبارًا، ومحنة ظاهرة، وأخذوا أجور الصّبر عليها. وتصوّري كيف كان حال النّبيّ الكريم، والألسنة تلوك في عرضه؟ وكيف كان يدخل ويخرج -صلّى الله عليه وسلّم- بين هؤلاء القوم؟

الخير الثّاني: أنّه نزل في هذه المسألة ثمانية عشر آية، تُتلى إلى قيام السّاعة، **فيها**: تعظيم لشأن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، **وفيها أيضًا**: تنزيه لأمّ المؤمنين. هذا من الخير العظيم، يعني ثمانية عشر آية تُتلى على المنابر في تسلية النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وتنزيهه، وفي رفعة شأن عائشة -رضي الله عنها- ولولا هذه القصّة ما كان هذا الخلود،

يعني لولا هذا الحدث الّذي ذُكر فيه آيات القرآن ما كان الخلود لشأن عائشة -رضي الله عنها- وما كان هذا الوصف بأنّها المبرّأة الطّاهرة؛ بل كانت عائشة امتحانًا يُمتحن به أهل الإيمان من أهل الكفران، **بمعنى**: لو اعتقد أحد في عائشة ما قاله المنافقون؛ فإنّه اليوم في حكم الشّرع يُعتبر كافرًا فهي تُعتبر امتحانًا، يعني يُختبر الإنسان.

الخير الثّالث: أيضًا هذه الآيات أظهرت طهارة أهل البيت، وتهويل الكلام في حقّهم.

الخير الرّابع: أيضًا من الفوائد أنّ السّامع الرّاضي، يعني الّذي ما تمجّ أذنه ويرفض، كالمتكلّم في شأن هذا البيت الشّريف.

الفوائد كثيرة، **لكن المهمّ نتصوّر هذا الشّأن**: أنّهم أتوا ﴿بِالْإِفْكِ﴾ لأجل أن يشوّهوا سمعة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وأوّل ما نزل على النّبيّ أكيد أنّهم رأوه شرًّا وأوّل ما نزل على أهل المدينة، أكيد أنّهم رأوه شرًّا.

لكن: الله عامل هؤلاء بنقيض قصدهم تمامًا ألم يقصدوا هم أن يقلّلوا من شأن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟ نزلت الآيات ترفع من شأن النّبيّ ومن شأن عائشة، ومن شأن أهل البيت عمومًا، وأصبح المتكلّم في شأنهم والسّامع على خطر عظيم إذا تكلّموا ببهتان أو إفك أو حتّى

أشاروا إلى ذلك. **إذًا هذا معناه:** ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

تأتي أيضًا الجملة الّتي بعدها أيضًا تحميل: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾، **معنى ذلك**: أنّ جزاءه واقع في الدّنيا، وذمّه باقٍ إلى قيام السّاعة، غير ما ينتظره يوم القيامة.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ يُقصد به عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول، وهو رأس المنافقين. ولابدّ أن تعلمن هنا: أنّ إشاعة الفاحشة الّتي فعلوها هؤلاء المنافقين خاصّة، ما كانت أبدًا بالتّصريح؛ إنّما القصّة كما تعلمن أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كان حين يخرج إلى غزواته يقرع بين نسائه، فوقعت القرعة في هذه الغزوة على عائشة -رضي الله عنها- وكانت صغيرة، وهم في طريق العودة عرّسوا، يعني آخر اللّيل ناموا في مكان، ثمّ أمرهم النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- بأن ينهضوا ويمشوا. وكانت هي -رضي الله عنها- قد ذهبت لقضاء حاجتها، ثمّ إنّهم حرّكوا الجمل الّذي كانت تركبه، ولأنّها صغيرة لم يشعروا بأنّها غير موجودة.

فلمّا عادت وجدت القوم غير موجودين، فكان من فطنتها وذكائها أنّها ما ذهبت لا يمينًا ولا شمالًا، كيف فكّرت؟ قالت: «فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي»، ماذا سيحصل؟ «فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ»، يأخذونها. الّذي حصل أنّ أحد الصّحابة كان ممّن تأخّر وراء

الجيش -وفي الرّوايات سبب تأخّره مختلف- لكن ممّا يُقال: إنّ سبب تأخّره أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد جعل من وراء الجيش من يرعاه، يعني بعد فترة وصل لها لمّا طلع النّور، ورآها. فهم كانوا قد ساروا في آخر اللّيل. لمّا طلع النّور ورأى الصّحابيّ ظلّها، وحالها، استرجع، فسمعت استرجاعه، وسمعت صوته عرفته، وهي قالت كما في "صحيح البخاري": «وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ»[1]، هي الآن تجلس في مكانها متغطّية، وهو كان يعرفها ويعرف هيأتها قبل الحجاب، فمباشرة ما أن رآها إلّا عرفها، فسبّح واسترجع، ولم يسألها أيّ سؤال، ولا قال لها: (لماذا تأخّرت؟ وماذا حدث؟)، ولا كلمة؛ إنّما أناخ لها البعير، ركبت وهو أمسك البعير وتقدّم عنها، فصار وجهه إلى الأمام حتّى ما يلتفت لها ويراها.

لمّا وصلا إلى القافلة، ولحقهم إلى المدينة، فرح بذلك المنافقون فرحًا شديد من هنا تبدئين تفهمين: منْ هم أصحاب هؤلاء النّفسيّة الّتي تحبّ إشاعة الفاحشة؟ فكان هذا ﴿الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ كِبَرَ المسألة، هو رأس المنافقين وقد كان من النّاس الّذين كانوا ينتهزون الفرص لإيذاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ويريد أن يغمزه.

وأنتنّ أكيد تعرفن: في سيرته الشّريفة العطرة، أنّه صلّى الله عليه وسلّم، كان يعرف بعداوته، ومع ذلك ما عامله معاملة العدوّ، لكنّه

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٤).

أراد له الهداية ومعلوم السّبب في عداوته: الحسد لأنّه حتّى الصّحابة الكرام الأنصار حكوا للنّبيّ صلّى الله عيه وسلّم: (أنّك أتيت وقد اتّفق الحيّان (الأوس والخزرج) على تتويجه)، فكان سيصير لهم مَلِكًا (فأنت أتيت أفسدت عليه هذا الأمر)، فحسدًا منه كان يتمنّى أن يجد ما يغمز به النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لكن لابدّ أن تعرفوا أنّ هؤلاء الخبيثين ما يصرّحوا تصريحًا يسبّب أن تحمّلهم المسؤوليّة فإنّما كان هو من ابتدأ الكلام قال: (امرأة نبيّكم باتت مع رجل حتّى أصبحت ثمّ جاء يقود بها) فهذه الكلمة الآن غمز ولمز ليس فيه تصريح.

ولأجل أن تعرفن: الفرق بين المنافقين والمؤمنين، لأنّنا في نهاية القصّة بعد ذلك سنعرف: أنّ من وقع من الصّحابة المؤمنين في شأن عائشة ثلاثة، منهم: حسّان، ومِسْطَحٌ، وهؤلاء قد أُقِيمَ عليهم الحدّ، بمعنى: أنّهم جُلدوا بعد براءة عائشة ثمانين جلدة، فهم من جُلدوا ثمانين جلدة، والمنافقون ما حصل لهم شيء والسّبب الرّئيس في ذلك: أنّ المنافقين من خُبثهم ما تصطادين عليهم كلمة يعني: هو يأتي يقول لك: (أنا ماذا قلت؟ امرأة نبيّكم باتت مع رجل وأتى بها ألم تبِت؟) بهذه الطّريقة! ما الفرق الآن بين حسّان -رضي الله عنه- وبين المنافقين؟ حسّان -رضي الله عنه- كأنّه وقع في الكلام، يعني كأنّه قال بلسانه الشّيء الّذين هم يديرونه، ويديرونه، ولا ينطقون به من ينطق به؟ الطيّبون من المؤمنين من الممكن أن يقعوا بسرعة في الاغترار، ووالله

إنّه لشيء ما يُفهَم ما هذا الّذي في نفوسهم ما يُفهم لكنّهم يكيدون لك ويكيدون لك ويثبّتون في نفسك كلامًا ولا يتكلّمون به إلى أن تنطقي أنت به.

وهذا بالضّبط كان مع أوّل شابّ عندنا هنا في المملكة وقع في الإلحاد هذا الشّاب كان مع جماعة -والله اعلم- تبثّ أفكار الإلحاد وما تصرّح به تشكّكه وتشكّكه وتشكّكه وتجعل الشّباب يقرؤون هنا ويقرؤون هنا بحيث أنّهم يشكّكون في الحقّ لكنّهم ما يأتون لهم أبدًا بكلمة (إلحاد) ولا (إنكار) صريحة. من يقول ذلك؟ الّذي ليس على درجتهم من الكيد، والمكر، فتقع في نفوس الضّعفاء وهذا شأنهم دائمًا في كلّ زمان إذًا: لابدّ أن نفهم: نفسيّة القوم الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة **أوّل شيء الآن يتبيّن لنا**: أنّ هؤلاء في قلبهم عداوة على أهل الإسلام بُغض على استقرار أحوال أهل الإسلام.

هم يعيشون مع أهل الإسلام وممكن أن يكونوا يعيشون في خيرهم يعني: مثل حال هؤلاء المنافقين قد كانوا في المدينة والرّخاء قد وقع عليهم بسبب ذهاب الحروب، واتّفاق الأوس والخزرج، لكن هو ما يريد الرّخاء لغيره؛ وإنّما يريد الرّخاء لنفسه فمن صفة هؤلاء القوم أنّهم يحبّون أن يترأّسوا ولو بالباطل يعني: من صفة القوم الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة، يحبّون أن يكونوا رؤوسًا ولو بالباطل مثل هذا.

هذا هو: ﴿الَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾، بمعنى: هو﴿الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ أوّل الكلام ومبدأه، **وعلى ذلك**: أهل الإيمان في حرص شديد أنّهم ما يبدؤوا كلامًا ولا ينشروا شيئًا:

⇐ في مضمونه أنّه باطل.

⇐ في مضمونه أنّه فاحشة.

ولذا كثير من النّاس يظنّون أنّ الصّحيح أنّه لو حصلت مشكلة هنا، أو مشكلة هنا، أن نفشيها والصّحيح أنّه حتّى لو وقع الأمر، أنّ الأصل أن يبقى حقّ المؤمن على المؤمن السّتر. سنرى الآن هذا الحقّ واضحًا.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾[1].

ما هو المقصود بأنفسهم؟ ﴿بِأَنفُسِهِم﴾، كأنّك أنت وجماعتك واحد، فأنت من المؤمنين والمؤمنات، فكأنّهم هم نفسك؛ فكان من المفترض لمّا سمعتم الأخبار أن تظنّوا بأنفسكم خيرًا، يعني: تكذّبون هذا الخبر، لأنّ الواجب أن تعتبروا عائشة مثل أنفسكم.

فحين تظنّون خيرًا ماذا ستقولون؟ ﴿هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾، يعني: تكونون واثقين ومتأكّدين أنّ مثل هذا الباطل لا يمكن أن يكون حقًّا. ﴿هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾، كان المفترض أنّ إيمانهم بأنّ الرّسول -صلّى الله عليه

(١) النور: ١٢.

وسلّم- من الطّيّبين، وإيمانهم بأنّ الطّيّبين لا يكون لهم إلّا الطّيّبات، كان يمنعهم من أن يظنّوا أن يُدَنَّسَ فراش رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-؛ وهذا أمر معلوم عند كلّ إنسان عاقل ذي لبّ وعنده قيم، يعرف أنّه لا يمكن أن يكون فراش المرء إلّا منه، بمعنى: الطّيّب له الطّيّبات، الخائن له الخائنات. فيقولون: ﴿هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ بمعنى: أن تكون هناك براءة لساحة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ولساحة عائشة، ومن المفترض أنّهم يقولون: (إنّ مثل هذا لا يمكن أن يكون). تعرفن حين يكون هناك في القلب ثقة ويقين، أنت حين تكونين تعرفين النّاس معرفة جيّدة، ويأتي أحد يقول لك شيئًا لا يمكن أن تتصوّريه عن شخص المفترض ماذا يكون في نفسك؟ ألا تصدّقي خصوصًا إذا كانت مسألة فيها فحشاء ويكون هذا صاحب دين وإيمان لا أن تسارعي وتقولي: (الظّاهر شيء والباطن شيء) ولا تصدّقين بأنّك سمعت عليهم نقصًا **ولتعلمن**: أنّ الشّيطان من الحسد يجعل الإنسان يحبّ نقص النّاس الكُمّل، يعني لو عُرف عن شخص دِينٌ، حفظه للقرآن، وأنت مثله حافظة للقرآن وأنت مثله محبّة للدّين لكن مثلًا هو له ميزته، له محبّوه، فَأُشِيعَ عنه أنّه فعل كذا وكذا أو يكون إمام مسجد، ويُقال لك: (هذا يفعل مع الأولاد كذا وهذا مدرّس في تحفيظ القرآن يفعل كذا) فحين تسمعين مثل هذا الكلام، تقولين مباشرة: (نعم ممكن

يتستّرون بالدّين) لماذا؟ من أين لك هذا؟ الأصل أنّك تُبرّئين ساحة أهل الدّين وإذا كان خلاف ذلك فأمرهم إلى الله.

لكن فلتعلمن: أنّه في النّفس نقطة ضعف، يأتي الشّيطان يُثيرها عليك، فأنت لا تريدين أن يكون أحد أحسن منك فحين يكون هناك أحد اشتهر أنّه فيه خير عنك، ثمّ أتى شيء يسلبه صفة الكمال؛ الشّيطان يجعلك تصدّقينه لابدّ أن تعرفن: هذا العيب؛ لذلك بسرعة تُشاع الفاحشة.

ونحن الآن لا نتكلّم عن الّذين يحبّون إشاعة الفاحشة؛ وإنّما عن المستقبلين لإشاعة الفاحشة لماذا من الممكن أن يستجيب المستقبلون؟ لأنّ في النّفوس حسد يثيره الشّيطان بإنقاص الكُمّل من النّاس يعني أنت في الأصل تحترمينه، لكن لمّا جاءت فرصة بأن يُقَلَّلَ من قيمته، يستفزّك الشّيطان فتصدّقين ذلك وإذا شككت في هذا، فانظري: النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وزوجه الصدّيقة، بنت الصدّيق، كيف يمكن أن يُتَصَوَّرَ أن تطلب عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- عَوَضًا أو يكون لها الشّيء الّذي لا يمكن حتّى أن يجري على اللّسان ما تقدري أن تقوليه كيف تتصوّرين هذا؟

لكن لمّا وقعت الإشاعة، هناك قوم استطاع الشّيطان أن ينفذ إلى قلوبهم، خصوصًا من يكون في نفسه شيء من الحسد فنحن لو تكلّمنا

عن عامّة النّاس يكون هذا إنسان عُرف بالتّقوى، وعُرف بالإيمان، فأوّل ما تُشاع الفاحشة عنه يأتي الشّيطان فيُثير هذا الحسد، ويجعل الإنسان يصدّق.

ولذلك الله -عزّ وجلّ- قال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ يعني بمجرد أن تسمعوه: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾، بمن؟ ﴿بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، كأنّه فيك أنت هذا الأمر. وليس هذا فقط: ﴿وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[1].

وهذه من مصالح هذه الحادثة، أن أتى هذا الشّرع الكريم الّذي يحفظ المسألة ويجعل الكلام فيها ليس بالكلام الهيّن.

نضرب مثالًا: لو جاء أحد وقال: (أنا رأيت فلانًا يزني بفلانة) -والعياذ بالله- جاء وحده، سيُقام عليه الحدّ ٨٠ جلدة، لماذا؟ لأنّه جاء وحده. حتّى لو رأى؟ حتّى لو رأى. لو جاء هو وصاحبه، وقالا: (كذا، وكذا، حصل)، نجلدهم، لو جاؤوا ثلاثة؟ نجلدهم أيضا؛ ما يُقام الحدّ إلّا حين يأتي أربعة شهود على الحدث، وهذا الشّيء قريب من المستحيل إلّا في أحوال -الله يستر علينا، وعلى بناتنا، ويحفظنا من كلّ شرّ-.

(١) النور: ١٣.

المقصد الآن: أنّ الشّريعة شدّدت على هذا الشّأن، حتّى لو رأيت، هل ستذهبين وتتكلّمين؟ إذا كنت وحدك لن تتكلّمي وإلّا فإنّك أنت الّتي ستُجلدين، وهذا كلّه تأكيدًا على أنّه لا تسارعين بالكلام لا تشيعين الفاحشة حتّى لو حصل ما تتكلّمي إمّا أن تأتي بأربعة شهداء فيُقام الحدّ أو تسكتي، فهذا شأن عظيم.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ﴾، ماذا؟ ﴿الْكَاذِبُونَ﴾، هذه الحالة الّتي نتكلّم عنها:

١. الّذي وحده كاذب.

٢. والاثنان كاذبان.

٣. والثّلاثة كاذبون.

٤. متى يصيرون صادقين؟ حين يكونون أربعة.

لكن لاحظي: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ اللَّهِ﴾، يعني: في الحكم الشّرعي. يعني: هو كاذب في حكم الشّرع، فلابدّ أن يكون هو ومعه ثلاثة.

لماذا هذا كلّه؟ لأجل أن لا يستهين أحد بهذه المسألة، ولا تصير المسألة لمجرّد شبهة فانظري: كيف أنّه لو كان الأمر أكثر من ذلك، يعني أنت لا تعرفين جارتك هذه، أو تعرفينها وتعرفين زوجها، لكن لا تعرفين من هم أقرباؤها ولا تعرفين إخوانها المسافرين ولا خالها الّذي هنا أو

عمّها الّذي هنا ثمّ إنّ زوجها ليس موجودًا وأنت عندك حالة من الثّقافة، وكلّ فترة تنظرين من المنظار ورأيت هذا العمّ، أو الخال دخل فما الّذي ممكن أن يحصل؟ وهذه أمور ليست مضروبة على باب أنّه: (تصوّر لو) لا، فهذه حاصلة كثيرًا وكم خُرِبَتْ بيوت بمثل هذا الكلام! يكفي الرّجل كلمة واحدة، أن يُقال له: (نحن رأينا رجلًا غريبًا يدخل بيتك!) نعم، تنتهي الحياة كلّها ولا يحتاج كلامًا زائدًا عن هذا.

فأنت تصوّري هذا الشّأن واعلمي: أنّ هذا الإنسان يكون عند الله من الكاذبين والأصل أنّه لو كانت عرفت هذه المرأة حقّها لكان أُقيم الحدّ على من تكلّم، فهذا هو الأصل، ولو أُقيم الحدّ لتأدّب النّاس وعرفوا أنّهم حتّى لو رأوا بأعينهم وجاؤوا بمفردهم، أو اثنين، أو ثلاثة، فلا يحقّ لهم؛ إنّما هم من يُقام عليهم الحدّ.

هذا كلّه إشارة إلى منع [الكلام] في مثل هذه الأمور؛ الحكمة من هذا الشّرع العظيم، أن ننتهي عن نقل الفحشاء، وخصوصًا لو كانت غائبة هنا وهنا، أنت لن تقولي: (هل هذا حلال؟ أو هل يجوز؟)، لكن هناك فرق كبير بين كونها مختبئة، مخفيّة، وبين كونها مشهورة، مُعلنة، فالمختبئة المخفيّة تبقى كبيرة، لكن أنت لا تدخلي في كبيرة أخرى بإشاعة الفاحشة؛ لأنّها إذا كانت هذه كبيرة فالثّانية كبيرة أيضًا.

طالبات العلم: هل في مثل ذلك يجوز التّصوير عن طريق الهاتف الجوّال؟

الأستاذة: المحاكم لها أحكامها في مسألة التّصوير، المحاكم لا تقبل تصويرًا بغير إذن، بمعنى: لو تجسّس سيُقام عليه هو أيضًا الحدّ، لابدّ أن يقدّم هو دعوى، ويُعْطَى إِذْنًا بالتّصوير، وبعد ذلك يحصل هذا الأمر.

كلّ شيء له خصوصيّاته، في النّهاية: الموضوع ليس مطروحًا هكذا لأيّ أحد يتصرّف فيه ويتكلّم فيه؛ وإنّما مُحافَظ عليه جدًّا، هي جريمة وكبيرة لكن لا تقابلها بارتكاب كبيرة أخرى.

لابدّ أن تعرفن: ما معنى هذا الأمر؟ المحافظة على أنّ مثل هذا الكلام لا يدور في المجتمع، ولا يدور بين النّاس، ولا تكون مسألة سهلة؛ لأنّ كثرة المساس تميت الإحساس، فلو سمعت كلّ فترة مثل هذا؛ يُستهان بمثل هذه المشاكل فكيف بك حين ترين أنّ أناسًا يكتبون لك تشويقًا لك (فضيحة فلان وفضيحة فلان وعلى أساس أنّ هذا رابط وتدخلينه) دخولك له محرّم يعني دخولك على أنّك ترين فضيحة فلان، هذا محرّم فإنّ هذا يدخل في حبّ إشاعة الفاحشة، المفترض: أن تنتهي تمامًا وتطلبي من ربّ العالمين أن يعاملك بستره، ألسنا نقول:

(اللّهمّ استر عوراتي، وآمن روعاتي)؟ فإذا طلبت من الله السّتر عاملي المسلمين بذلك -الله يسترنا، ويستر ذرّيّاتنا، ويستر المسلمين جميعًا-.

نقرأ الآية التّالية: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

لولا أن عاملهم الله بفضله ورحمته لوقع عليهم العقاب -أهل المدينة- بسبب خوضهم في مسألة الإفك.

﴿أَفَضْتُمْ﴾ معناها: أنّ الكلام وصل إلى حدّ أنّه استفاض؛ ولذا الشّريعة جعلت الحكم: أن لا تتكلّم في هذا الشّأن إلّا مع وليّ الأمر ومعك أربعة من الشّهود، وإلّا فإنّ أعراض النّاس ستُداس في كلّ موطن!

لو وقع هذا الحكم واقعيًّا وجاء أحد عرّض بأحد، وقال: (أنا رأيتك مع فلان)، كلمات تدلّ على اتّهامه، إذا استطاع أن يثبت عليه؛ فعليه أن يذهب للمحكمة ويُقيم عليه الحدّ. بذلك لن يُفيض النّاس ويستفيضوا ويكثر الكلام لكن ترْك تطبيق هذا الحكم يجعل النّاس يستفيضون ولذا في مثل هذه المواقف نقول للشّخص: (لو تعرّض لك أحد، واتّهمك بكلام صريح في مجلس، تستطيع إثباته، لا تتنازل عن حقّك، أقم عليه الحدّ) فإنّه لو ذهب للمحكمة وقدّم دليلًا، سيُقام

(١) النور: ١٤.

عليه حدّ القذف مباشرة، لكن المشكلة: أنّ النّاس يأتون عند هذا الموقف ويسامحوه فهو مثلما تكلّم في عرضك سيتكلّم في عرض غيرك وفي عرض غيرك وسيبقى الكلام عن الفاحشة أمرًا متداولًا وهذا بنفسه باطل.

تصوّرتنّ الآن: أنّ الأمر استفاض في المدينة، وصار الناس يتكلّمون في هذا الشّأن، وتصوّري: موقف النّبيّ الكريم يبقى لمدّة شهر في مثل هذه الحال، والنّاس يتكلّمون في عرضه -والله ما أصعبها- لكن انظري: حكمة الله في رعاية عائشة الصّغيرة، أنّها تمرض حين تدخل المدينة، وعندما تمرض تكون عند والديها، ولا تخرج من بيتها، ولا تدري عن أيّ شيء إلى قرب نهاية المسألة، معناها: أنّها من رحمة الله ما عاشت كلّ الشّهر في الكلام والأذيّة، والله -عزّ وجلّ- لطيف بعباده، لطف بها، وجاء بلاؤها على قدرها.

والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- اشتدّ بلاؤه فقد كان يواجه النّاس، ويواجه المنافقين، ولم تنزل آية لمدّة شهر، أو حتّى رؤيا، أو حتّى حديث يُذهب ما في قلبه من لوعة في كون أنّ عرضه تعرّض له المنافقون، هذا شأن عظيم ما يفهمه إلّا من تعرّض له -الله يحمينا من التّعرّض-

لكن لابدّ أن نعلم: كم تحمّل نبيّنا فلابد أن: نصلّي ونسلّم عليه من داخل قلوبنا؛ إحساسًا منّا أنّه -صلّى الله عليه وسلّم- تحمّل في سبيل

إيصال الدّعوة ما تحمّل، يعني بقي في مكّة ١٣ عامًا متحمّلًا الكفّار أتى المدينة فتحمّل أهل النّفاق واليهود، وهؤلاء لهم شأنهم وبلاؤهم وهؤلاء لهم شأنهم وبلاؤهم فالله المستعان!

قراءة سيرة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ورؤية الجهد الّذي كان عليه في الدّعوة، وفي هذا الطّريق، يجعلنا صادقين في الصّلاة والسّلام عليه -صلّى الله عليه وسلّم- ويجعلنا صادقين في التّمسّك بمتابعته فلا **نكون مثل:** بني إسرائيل بعدما حصل مع موسى ما حصل في جهاده لفرعون، وبعد ذلك جهاده مع قومه، وإخراجهم من مصر، وحصول الآية العظيمة، ويتركهم فقط من أجل أن يأتي لهم بالألواح ٤٠ يومًا، يعود فيجدهم على ملّة غير ملّته!

ولذا لا تستغربي منه أنّه ألقى الألواح، قوم جاهد فيهم كلّ هذه السّنين، وبذل معهم كلّ هذا الجهد، ووجد ما وجد من الصّعوبات، ثمّ عاد فلقيهم على ملّة غير ملّته فنحن لا نريد أن نكون مثل هؤلاء وإنّما نلقى ربّنا، ونجتمع برسولنا -صلّى الله عليه وسلّم-، ونحن على الجادّة، ونحن على سنّته مصلّين ومسلّمين وراضين به رسولًا من عند الله- عزّ وجلّ- رضيت بالله ربّا وبمحمّد -صلّى الله عليه وسلّم- نبيًّا ورسولًا، والرّاضي متابع لسنّة النّبيّ، حريص عليها، نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء.

الآية الّتي تليها:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[1].

أين هي الأزمة والمشكلة؟ لأنّه كلام على اللّسان فإنّ النّاس يعتقدونه: ﴿هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾، خاصّة في حقّ نبيّنا، اعتَقدوا أنّه كلام هيّن لا وزر عليه وهو جراءة على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم؛ والجراءة على الرّسول تكون بمثابة الجراءة على الله؛ لأنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- رسول من عند الله.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[2].

﴿سُبْحَانَكَ﴾ يتعجّبون أنّه ممكن أن يتجرّأ أحد على رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ويقول مثل هذا كيف رسول أرسلته من عندك يكون فراشه مُدنّس؟ فأنت حافظ للرّسول، وحافظ لأهل بيته؛ لأنّ الطّهارة تلحق الرّسول وتلحق أهل بيته.

هذه الطّهارة المقصود بها: في العرض. وهذا معروف لكلّ الأنبياء، حتّى زوجة نوح؛ قد ضرب الله مثلًا للّذين آمنوا، وضرب مثلًا للّذين

---

(١) النور: ١٥.

(٢) النور: ١٦.

كفروا. ما مثل الّذين كفروا؟ امرأة لوط، وامرأة نوح. الآن هؤلاء من جهة العرض هم سالمون؛ إنّما هم مثل على الكفر، وليس من جهة العرض؛ فكلّ الأنبياء أعراضهم محفوظة.

كان المفترض لمّا سمعوا أن يقولوا: ﴿هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾، ولاحظن: أنّ الآيات تعيد علينا هذا المعنى وتوضّحه وتكرّره وتبيّنه، أنّه كان من المفترض أن تستبعدوه تمامًا.

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

اشتُرط الإيمان، إذا كنت مؤمنًا فلن تقول مثل هذا الكلام.

إذًا: الكلام عن الفحشاء، واتّهام النّاس بها، والرّضا عن الكلام في الأعراض، لا يكون أبدًا من وصف المؤمن.

﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

هذه الآية الّتي هي: موضوع الشّاهد، الآيات السّابقة دلّت على أنّ المؤمنين لا يمكن أن يتكلّموا في الأعراض، ويرونها جريمة عظيمة جدًّا، و[لو اشتبهوا] في شبهة [تنبّهوا] ألّا يتّهمون؛ بل يتتبّعون ويتأكّدون،

(١) النور: ١٧.

(٢) النور: ١٨_١٩.

ويعظون وينصحون؛ لأجل ذلك الآية الثّانية الّتي أوردها في الباب، تأمرك أن تنصح، **بمعنى**: لو وجدت أيّ علامة تدلّك على شيء من هذا، لا تنطلق بالكلام؛ إنّما ابدأ بالنّصح والوعظ والتّنبيه ولا تعطي لنفسك فرصة أن تتوسّع في الخيال وتظنّ ظنونًا وتفترض افتراضات، إن كنت مؤمنًا لا تفعل هذا.

وصف الله هؤلاء القوم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾، أين الكبيرة؟ [الحبّ]: ﴿يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾، في من؟ ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ وهنا في هذا السّياق سيكون حبّهم إشاعة الفاحشة لشخص النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؛ إنّ هذه الآية تابعة لقصّة الإفك، وحالهم في كونهم اتّهموا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو من ذلك بريء وحاشاه؛ إنّما هو لأنّهم يحبّون إشاعة الفاحشة عن النّبيّ يغمزونه ويلمزونه فأصبح حبّ إشاعة الفاحشة له نوعان، نقولهما اليوم باختصار -وإن شاء الله- الأسبوع القادم نتوسّع:

حبّ إشاعة الفاحشة يكون لأشخاص: فيكون في القلب عداوة، وحسد، لهم، فيُتّهمون.

وحبّ إشاعة الفاحشة يكون لمجتمع: فيحبّ إشاعة الفاحشة في أحوال الّذين آمنوا؛ بنشر الباطل، وتسهيله، خاصّة ما يتّصل بالزّنا -والعياذ بالله-.

اللّقاء التّاسع والعشرون

١٣ شعبان ١٤٤٠

تابع باب الفحش

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن ينفعنا بهذه السّاعة، ويجعلها في ميزان حسناتنا، ويثقّل بها موازيننا يوم أن نلقاه، الله آمين.

لازلنا في مناقشة مسألة الكبائر، **"كبائر الذّنوب"، ونُذكّر أنفسنا:** كيف أنّ اجتناب "كبائر الذّنوب" سبب لكفّارة صغائرها، وهذه نعمة عظيمة؛ لأنّ الصّغائر بنفسها تُهلك صاحبها، فإذا منّ الله -عزّ وجلّ- عليك، واحترزت من الكبائر ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، وتبت منها إذا وقعت فيها، سيكون أثر هذا أن تُكفَّر عنك سيّئاتك، **لكن المهمّ في هذا:** أن نستحضر كلّما واجهنا كبيرة من هذه الكبائر، أن نبتعد ونتوب إن وقعنا، ونبتعد ونحذر إن قاربنا، ونحتسب على الله هذا الحذر، فيكون هذا -بأمر الله- سببًا لكفّارة الصّغائر.

لازلنا نناقش "الكبائر القلبيّة"، واتّفقنا: أنّ "الكبائر القلبيّة" أمر خطير جدًّا كونها تأتي على أعمال القلوب الّتي هي الأساس الّذي تتقرّب به إلى الله، الّتي تُبنى عليها بقيّة الأعمال. تأتي هذه الكبائر فتُفسد عليك الأساس الّذي هو **"القلب"**، فيكون هذا "القلب" بسبب **"الكبائر القلبيّة"** كالإناء الّذي وقع فيه ثقب، فمتى صببت الإيمان بالأعمال الصّالحة، خرجت من جهة الكبائر، خرجت من جهة هذا الثّقب الّذي تتركه في قلبك، يعني: الإنسان يعلم أنّ أعماله الصّالحة تزيد الإيمان، فمن المفترض: أن يكون "القلب" كالإناء النّظيف الّذي تنزل عليه الأعمال، فتُحفظ فيه. تأتي **"الكبائر القلبيّة"** تثقب هذا الإناء، فأنت تزدادين إيمانًا بالأعمال الصّالحة، وبسبب هذه الثّقوب تذهب آثارها! فبدلًا من أن يلين القلب يبقى قاسيًا أنت تشعرين أنّ الأعمال تذهب، فأين تذهب آثارها؟ إلّا وفي **"القلب"** ما فيه من هذه الكبائر!

فنحن نستعمل أمرين من أجل إزالة هذه الكبائر -خصوصًا ونحن مقبلات على الموسم الكريم، موسم رمضان-:

الأمر الأوّل: **التّوبة العامّة**: هذه التّوبة، **معناها**: أن نتوب من جميع الذّنوب والخطايا، الكبائر منها والصّغائر، علمناها أم لم نعلمها، ونعزم على ألّا نعود إليها، راجين الله أنّ يعصمنا منها لأنّ الّتي لا نعلمها ما ندري هل نحن نرجع أم لا نرجع لا ندري ما هي أصلًا!

بالنّسبة لأنفسنا فنحن نتوب توبة عامّة، ونسأل الله -عزّ وجلّ- أن يعصمنا من العودة إليها.

الأمر الثّاني: **تعرفين أنواعًا خاصّة من الكبائر**: أنّك تقعين فيها، فتتوبين عن هذه بالذّات، من الممكن أن يكون الإنسان عنده من "كبائر القلب": "الكِبْر"، "إرادة العلوّ"، وأيّ فرصة تأتي يريد أن ينظر النّاس له على أنّه هو أعلى وهم أسفل فيكتشف من نفسه أنّه عنده هذا المرض، فيتوب عنه خاصّة.

إذًا سنتوب بطريقتين:

⇐ توبة عامّة: عن الّذي نعلمه، والّذي لا نعلمه، ونسأل الله أن يعصمنا من الزّلل.

⇐ وتوبة خاصّة: عمّا نعلمه من نفوسنا. ونكرّر خاصّة التّوبة الخاصّة، كلّ مرّة نعيد على أنفسنا المواقف الّتي ظهر في قلبنا هذا الذّنب، ونُعلن عزمنا على ألّا نعود. وكلّما تكرّرت هذه التّوبة، كلّما رجونا أن تُبَدَّل السّيّئات حسنات.

الشّاهد الآن من هذا الأمر: خطورة **"الكبائر القلبيّة"**، مع سهولة الوقوع بها، مع الجهل بها، فصارت ثلاثة أمور تُسبّب هذه الحالة الّتي نمرّ بها من وجود ثقب يُخرج الإيمان:

- كونها خطيرة.
- وكونها سهلة.
- وكونها مجهولة.

إذا كانت سهلة، معناها أنّ الإنسان لا يحتاج إلى عمل كثير لأجل أن يقع فيها (**"الكِبْر"**، أو **"الحسد"**، أو **"إرادة العلوّ"**) كلّها مجرّد ثوانٍ فتكون سهلة، وأحيانًا تكون مجهولة.

يعني من الممكن أن تبغضي الحسد بُغْضًا عظيمًا، وكلّما جلست مع أحد حذّرته من الحسد، ونصحته نُصحًا في مكانه، **لكن: ليس هناك إدراك**: ما هو الحسد في القلب؟ فيكون الآن علم عامّ لكن لا يوجد هناك تمييز لهذا الحسد في نفسك فماذا تكون النّتيجة؟ قد يقع الإنسان في الحسد وهو لا يشعر فما لنا إلّا الله أن يعاملنا برحمته وعفوه ومغفرته.

فعلينا أن ندخل على هذا الشّهر الكريم ونحن:

- ✓تائبات توبة عامّة.
- ✓وتوبة خاصّة.

✓وننتظر ليلة القدر بأعظم شوق؛ ليعفو الله عنّا؛ فالعفو سيذهب كلّ هذا. وهذا الطّلب -طلب العفو- يكون طيلة الشّهر، وفي ليلة القدر يزيد اختصاصه.

✓وفي اللّيلة الأخيرة الّتي نقوم فيها -الله يبلّغنا بزيادة إيمانٍ، وسلامة أبدانٍ- يكون أيضًا هذا الطّلب من أعظم الطّلبات الّتي نطلبها؛ نسأل الله -عزّ وجلّ- فيها أن يعفو عنّا، ويمحو عنّا سيّئاتنا، ونلقاه ما علينا خطيئة، صالحات لمجاورته سبحانه وتعالى في جنّات النّعيم.

سنعود الآن إلى الكبيرة الّتي تركناها في النّقاش الأسبوع الماضي، وهي: كبيرة عظيمة جدًّا جدًّا وللأسف قلّ من يخلو منها، **وهي: "حبّ إشاعة الفاحشة"**.

انظري: كيف أنّ اسمها خطير جدًّا ومزعج ونادرًا ما نشعر أنّنا من الممكن أن نكون من أهلها -الله يعيذنا- لكن حين نفكّر في تفاصيلها سنجد خطورتها، وقربها.

لماذا هي كبيرة قلبيّة؟ من أجل [الحبّ] فالحبّ هو الّذي جعلها قلبيّة.

استدلّ الشّيخ عليها بدليلين: الدّليل الأوّل هناك فيه نصّ لهذه الكبيرة، من سورة النّور، في القصّة المشهورة "قصّة عائشة المبرّأة"، رضي الله عنها.

ورأينا في اللّقاء الماضي، كيف أنّه من الطّبيعي في أوّل القصّة أنّ أيّ أحد سيحسبه شرًّا فأوّل القصّة الله -عزّ وجلّ- نبّهنا أنّه: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[1].

فنحن من البداية لابدّ أن نفهم: أنّه صحيح أنّ هذا الابتلاء العظيم نزل على نبيّنا الكريم، **لكن في نهاية الأمر**:

- ⇐ رفعة له.
- ⇐ ورفعة لأهل بيته.
- ⇐ وآيات تُتلى في براءة عائشة -رضي الله عنها- وفي سلامة فراش نبيّنا -صلّى الله عليه وسلّم- ردًّا على النّفاق وأهله.

بالنّسبة لنا: الآن هذا سبب النّزول، وهذا أصل القصّة، **لكن نحن نريد أن نخرج ونقول**: في الواقع، كيف من الممكن أن يحبّ النّاس إشاعة الفاحشة؟

---

(١) النور: ١١.

(١) حادثة الإفك وبيان معنى "إشاعة الفاحشة" في سمعة شخص معيّن

دعنا نقرأ الآية مرّة أخرى: ونرى الآية ونرى ما يقابلها: هو أورد آيتين، **كأنّه يقول**: هذا مسلك الكبيرة، وهذا مسلك ضدّ الكبيرة. اقرئي الآيتين، نحن كنّا ناقشنا الآية الأولى في سياقها، نناقشها الآن إجمالًا، وبعد ذلك نبدأ في الآية الثّانية في سياقها في سورة التّوبة، لكن أوّلًا نسمع الآيتين اللتين استشهد بهما:

قال الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتابه الكبائر: (**باب الفحش**: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾[٢].)

الآية الأولى تبيّن حال المنافقين، وأنّ هذه الصّفة الّتي هي: "حبّ إشاعة الفاحشة"، كانت في السّياق من أفعال أهل النّفاق، ومعنى ذلك: لو وُجد في نفس الإنسان "حبّ إشاعة الفاحشة" بين المسلمين، معناه: هذا وصف لترحّل الإيمان، ولوجود النّفاق وهنا يُقصَد به: النّفاق الأكبر وليس الأصغر؛ لأنّ السّياق في النّفاق الأكبر وليس الأصغر، وإن كان هذا الحبّ غير مُترسّخٍ في النّفس؛ إنّما كأنّه شيء

(١) النور: ١٩.

(٢) التوبة: ٩١.

طارئ، وكأنّه أمر ما دافعه الإنسان، **فيُقال**: هذا دليل نقص الإيمان **يعني**:

- متى كان هذا الإنسان ديدنه وطبيعته **"حبّ إشاعة الفاحشة"** في صفوف المسلمين، عُلم أنّ هذا من أهل النّفاق.
- وأمّا من طرأت عليه المسألة، ووقع في قلبه هذا الشّأن، وما دافعه؛ فهذا دليل نقص الإيمان.

وأمّا إن طرأ ودافعه الإنسان، **فيُقال**: ما دمت تدافع إذًا: أنت تُجاهد؛ إذًا: أنت مأجور على مجاهدة وساوس الشّيطان.

في الآية السّياق مشهور في قصّة عائشة، في الواقع ما معنى أن يحبّ الإنسان إشاعة الفاحشة؟ "حبّ إشاعة الفاحشة" يكون -والعياذ بالله- بطريقتين:

الطّريقة الأولى: إمّا حبّا في شخص معيّن: "حبّ إشاعة الفاحشة" في سمعة شخص معيّن، يكون بين الإنسان وبين هذا الشّخص حالة من الخلاف، فحين يختلف معه، ويُعاديه؛ يكون ممّن وَصَفَ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في صفات المنافقين نفاقًا أصغرَ، أنّه: «إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[1]، فحين يخاصمه يفجُر في إشاعة أخبار باطلة عن عرضه، إن كان رجلًا، أو امرأة، في أنّهم يقعون في الحرام؛ إذًا: هذا

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٤).

نوع. **بمعنى**: أنّه بينه وبين الشخص من الخصومة ما يجعله يستعمل هذا السّلاح؛ لأنّ هذا السّلاح من أخطر الأسلحة والنّاس لا يتحرّون فيه فيكفي أن نقول: (هذا فلان ما يمشي تمام) واليوم يزيد كلمة وغدًا يزيد كلمة ومن صفات هؤلاء أنّهم لا يصرّحون ولذلك في قصّة عائشة -رضي الله عنها- المبرّأة، الطّاهرة، أُقيم الحدّ على ثلاثة من الصّحابة ولم يُقَم الحدّ على المنافقين **والسّبب**: أنّ الصّحابة مع سلامة نفوسهم صرّحوا بما يدور عند المنافقين، المنافقون ماذا يفعلون؟ يلفّون ويدورون في الكلام؛ بحيث أنّك لا تستطيعين أن تمسكي عليهم كلامًا، مثلًا اليوم: أصبحت هناك قوانين يمكن لمن اتُّهم في عرضه أن يقدّم في المحاكم، ويطلب كما أمرت الشّريعة؛ لأنّ هذا قذف ومعناها: أنّه يُجلد إذا ثبت عليه القذف. لكنّك تأتين لموقف مثل هذا الموقف، وماذا تجدين؟ تسألين هذا: (هل أنت قلت؟) يقول: (لا أنا سمعت)، من قال؟ (فلان) تذهبين إلى فلان، يقول: (أنا ما قلت) وتبقى المسألة دائرة، فيها أيّ صفة؟ فيها صفة الخفاء إلى أن يأتي المسكين الّذي بعد أن ملؤوا رأسه بالكلام، ويكون أضعفهم نصيبًا في الفطنة، فيُصرّح فيقومون بمسكه هو، ويكون الأصل ماذا؟ من الممكن أن يكون الأصل بعيد جدًّا، لكنّه أشاعها حتّى أصبحت سمعة عليه.

لاحظنا الآن: أنّ هذا بسبب الخصومة يعني: يخاصمه، ما يعرف ينزع حقّه منه، أو يكون في قلبه فجور، فيجد نفسه أنّه يريد أن يوقع عليه أشدّ الآلام فيتكلّم في عرضه لكن كما اتّفقنا: غالبًا يكون هؤلاء عندهم حالة من المكر وهم الّذين وصف النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه: «إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» هذا في شخص معيّن. وهذا يحصل من المؤمنين ضعاف الإيمان، الّذين يمكن أن يكونوا مصابين بالنّفاق الأصغر.

الطّريقة الثّانية: نأتي للنّوع الثّاني من **"حبّ إشاعة الفاحشة"**، وهذا ليس في صفوف أهل الإيمان أبدًا، ولو كانوا ضعاف الإيمان؛ إنّما لابدّ أن يكون النّوع الثّاني صادرًا من المنافق نفاقًا أكبرَ وهذا صفته:

- يحبّ أن تُشاع الفاحشة.
- ويُسهّل أسبابها للمؤمنين.
- ويتاجر بهذا الأمر
- ويجعل من إشاعة الفاحشة أمرًا يسيرًا.

وهذا له طرق كثيرة:

- **أوّلها وأهمّها:** أنّه يهوّن عند المسلمين مسألة مثل مسألة الزّنا، ويجعل من مطالباته الحقوقيّة أن تكون العلاقات بين الرّجال والنّساء علاقات مفتوحة يبدأ هذا بتهوينها في المجتمع: (وأنّ هذا ليس زنا وإنّما هو صاحب أو صاحبة) وإلى آخر ما تعرفن.

- تيسير وصول الأمور الإباحيّة والصّور والأفلام تحت أيدي الشّباب.

فهذا لا يمكن أن يكون من المؤمنين أبدًا لابدّ أنّ الّذي يفعل هذا الفعل أن يكون منافقا نفاقًا أكبرَ لأنّ المؤمن حتّى لو وقع في الباطل، لو كان مؤمنا حقيقيّا، معه ذرّة من الإيمان:

- يشعر أنّه يكفيه أنّه وقع هو في الباطل.
- ويشعر أنّه من المفترض أن يمنع غيره من الباطل.
- وباقٍ في قلبه هذا النُّصح -وهذا الّذي سيتبيّن في الدّليل الثّاني- لا يمكن أن يُنزع من قلبه النُّصح حتّى لو وقع هو في الفاحشة؛ يبقى في قلبه أنّه ما يرضى أن تُشاع.

لكن المنافق نفاقًا أكبر عنده سلسلة من الخطوات وفي نهاية الأمر يحوّل هذه الخطوات. (سلسلة من الخطوات)، **بمعنى**:

- تهوين مسألة العلاقة بين الرّجل المرأة.
- إشاعة الأفلام الإباحيّة.
- إقامة أماكن يمكن أن يحصل فيها لقاء من بيوت دعارة إلى آخره هذا هو المقصود وكلّ الّذي تتصوّرينه من هذا الطّريق.
- وتسهيل السّفر من أجل هذه الأمور.
- وسياحة من هذا النّوع.

ثمّ ماذا يفعل هذا؟ الأسوأ والأحقر أنّه يأتي إلى ضعاف الإيمان من المسلمين، ويُغريهم أنّ مثل هذه تجارة رابحة ويدخل معهم في هذا النّوع من التّجارة؛ بحيث يحصل إغراء للمؤمنين أنّكم لو فتحتم هذه الأبواب، وسهّلتموها؛ فإنّ أماكنكم ستكون رابحة وسيكون عندكم زبائن فيجعلونها تجارة يعني ليس شرطًا التّجارة هي نفس الفحشاء، لكن على الأقلّ أسبابها وهذا يكتب لك اسم محلّ بلغة أجنبيّة، ويكون معناه **مثلا**: "موعد غرامي" إلى آخره من هذه الكلمات الفاحشة بلغة أجنبيّة أهل البلد عمومًا لن يستنكروا، والّذين لهم في الموضوع والصّغار والطّائشين سيكونون يعرفون معاني هذه الكلمات فيصير كأنّه هيّأ نفسه، ووضع نفسه في مكان آمن فهذا الاسم أجنبي ولن يفهم اسمه النّاس عمومًا والمرادون هم من يفهمون اسمه، ومن ثمّ يُفتح

هذا الباب **فهذا معناه**: تعاون بين منافق نفاقًا خالصًا، وبين مؤمن باع دينه واشترى الدّنيا ليس هناك كلمة تُقال في حقّ هذا الأمر إلّا هذا الكلام لأنّه جاء عند قيمه، وجاء عند الأعراض الّتي له هو عرض منها، ورماها وترك الأمر يُشاع يعني: على الأقلّ هيّأ بيئة يمكن أن يحصل فيها اللّقاء وهذا وحده جريمة وهو الّذي اختار أن يفتح ويتربّح من وراء هذا المكان؛ من أجل أن لا يضع أحد هذا الأمر على شيء غير نفسه، أنت الّذي تُتاجر صاحب القرار إمّا أن تفعل هذا أو أن تمنعه وباب الأرباح بعيدًا عن الأعراض باب مبارك، وباب الأرباح الّذي فيه سقوط للقيم، هذا في دين الله، وفي كتاب الله، بيع الإنسان دينه بالدّنيا ما له اسم آخر.

فإذًا: إشاعة الفاحشة عرفناها في حديث عائشة -رضي الله عنها- في سورة النّور، واليوم عرفناها في المجتمع على وجه العموم.

المُشيعون للفاحشة عندهم حالة من حالتين:

الحالة الأولى: إمّا أن يكون إنسانًا ناقص الإيمان، عنده خصلة من خصل النّفاق «إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» فيأتي إلى عرض شخص معيّن ويلقي عليه.

تكون هي مثلًا: زميلتهم في العمل، وهؤلاء اثنين من الصّاحبات لا يرضيان أن يشركاها في الصّحبة، وقد جعلا أسرارًا بينهما،

فقهرًا منهما، وخصومة لهما، تقول: (أنا أشعر بأنّ هذه العلاقة غير طبيعيّة أنا أشعر بأنّ هؤلاء غير طبيعيّين بينهما علاقة غير طبيعيّة!) فقط يكفي هذا الكلام هذا مباشرة يُعتبر إشاعة للفاحشة -طبعا- (غير طبيعيّة، ليست طبيعيّة) هذه كلمات مائعة يعني لو ذهبت بها إلى المحكمة لن يُعتبر قذفًا فـ (غير طبيعي) هذا من الممكن أن تخرج منه بكلّ سهولة والشّيطان يلقي هذا الكلام وفي المجتمع مفهوم ماذا يقصدون بهذا الكلام.

الحالة الثّانية: فإنّ هذا يخطّط على مستوى المجتمع ويسهّل الفاحشة على مستوى المجتمع وكلّ يوم يخرج خبرًا: (فضحية فلان الفلاني، فلان وجدوه في هذا المكان) من أجل أن يسّهل للمجتمع: (أنّه عادي كلّ النّاس عندهم هذه الأمور ليس هناك مشكلة) من أجل أن يتقبّل المجتمع هذه الأمور -طبعا- صُنّاع الأفلام بكلّ مستوياتها، هؤلاء هم: كبيرهم الّذي علّمهم السّحر هؤلاء أوّل أناس أفسدوا المجتمع الإسلامي، ودخلوا علينا بعد الاستعمار الّذي كان استعمارًا للأرض، بدأ استعمارًا للنّفس، وكان هذا أوّل إنتاج الاستعمار أوّل إنتاجه ومعلوم في تاريخهم أنّه ما قاد مثل هذا إلّا النّصارى، وإلّا المنافقين نفاقًا خالصًا -نسأل الله أن يخلّص ديار الإسلام من هذه البلاءات، ويحفظ أعراضنا، اللّهمّ آمين، الله يحفظ أعراضنا جميعًا-.

التّعليق على الدّليل الثّاني موطن سورة التّوبة (٩١)

(٢) بيان معنى "إشاعة الفاحشة" في المجتمع على وجه العموم

دعنا نرى الآن: الوجه الآخر، وهذه ميزة في كتاب الشّيخ: أنّه يأتيك بهذا الوجه، وبعد ذلك يقول لك: (وكان المفترض أن يكون كذا، أنت مؤمن يجب عليك أن لا تحبّ الفاحشة أبدًا أنت أكيد لا تحبّ الفاحشة ولا تحبّ إشاعتها، ولا تحتمل سماعها، ولا تتخيّل أنّك تقبل في مجلس أن يأتي سيرة عرض أحد من الخلق اتّهامًا أبدًا).

أحيانًا تقولين: (لكن هذا الأمر صحيح)، هيّا سنرى: حين يكون صحيحًا، ماذا يكون موقفنا منه؟ سنأخذ آيات سورة التّوبة، الّتي هي الآية الّتي ذكرها الشّيخ.

الآن نحن في الآية (٩١)، في التّوبة، هذا موطن الشّاهد، أكيد أنّ سورة التّوبة، سورة واضح فيها الكلام فيها عن المنافقين، لكن هنا لن نتكلّم عن المنافقين؛ سيأتي الكلام عن ضدّ المنافقين، لكن في سياق يوصف فيه الفرق بين المنافقين وبين المؤمنين. سنبدأ في هذا السّياق من الموطن الّذي نفهم فيه ماذا يُقصد.

سنبدأ من الآية (٩٠)، ماذا يُقصد في هذا السّياق؟ سورة التّوبة دائرة حول غزوة تبوك، الّتي كانت في ظروف كلّها غاية في الصّعوبة، وتمحّص فيها أهل الإيمان وخرجوا، وما بقي إلّا أهل النّفاق، والّذين

خُلّفوا تركهم النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وراءه لحالة معروفة، وكيف أنّهم تابوا وصدقت توبتهم. فنحن الآن نتكلّم عن غزوة مشهورة معروفة التّفاصيل، وهذا حدث من أحداث الغزوة.

نبدأ من الآية (٩٠) إلى الآية (٩٢):

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠) لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[1].

النّقاش هنا حول جماعة لا تستطيع الخروج مع النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فالآية السّابقة تُخبر عن قوم من الأعراب أتوا يتعذّرون من أجل أن يقعدوا، وكان معهم أعذارهم، لكن قوم آخرون معهم كانوا كاذبين جلسوا في نفس المجلس يعتذرون كذبًا فقال الله: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، والله مطّلع على صادق العذر وكاذب العذر.

(١) التوبة: ٩٠_٩٢.

ثمّ أتى التّقرير: من الّذي يُعذر؟ ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾، يعني هذه فئات معذورة، الّذي له خِلقَة ضعيفة، يعني رجل لكن ضعيف -معروفة هذه الصّورة- ورجل مريض، ورجل ما يجد ما ينفق فسيكون عالة عليهم، يعني لا يستطيع حمل نفسه، لا بمركوب، ولا بمأكول، فيصبح كلّا عليهم؛ لأنّها مسافة طويلة، فصعب أن يسير وما معه راحلة، وأيضًا ما معه زاد، فسيكون كلّا عليهم. أنا سأقف هنا، وبعد ذلك ننتقل للآية الّتي بعدها: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾، فقد أتى هؤلاء يريدون أن يحملهم النّبيّ -صلّى الله عليهم وسلّم- فيهم قوّة، ليسوا مرضى ولا ضعفاء، لكنّهم ما عندهم ما يُحملون عليه، ولو خرجوا هذه المسافة كلّها؛ فإنّه يُتصوّر أنّهم يُهلكون، يموتون، فالمسافة طويلة من المدينة إلى تبوك. فأتوا وسألوا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أن يحملهم، **بمعنى**: أنّهم جاهدوا بأبدانهم وما عندهم أموال.

﴿قُلتَ﴾، قال لهم النّبيّ: ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، ماذا كان موقفهم؟ ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾، يعني ما عندهم ما ينفقون، لكنّهم تكاد نفوسهم أن تخرج حسرة بسبب أنّهم لم يجدوا ما ينفقون.

لذلك انظري: للآية الّتي بعدها: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾، والحقيقة ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، حسبوا أنفسهم أنّهم فائزون أنّهم خرجوا من القتال.

بقي علينا الآن الصّفة، أو الضّابط، الّذي وصفوا به، **يعني**: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾، في كونهم لا يخرجون للجهاد، فهذه أعذار مقبولة، **لكن بشرط**: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وقد ذَكَرَ أهل التّفسير كلامًا جميلًا جدًّا، سنختار منه الّذي يناسب الموطن الآن في أنّ الشّيخ وضع هذه الآية أمام الآية السّابقة؛ الآية السّابقة كانوا جماعة يحبّون إشاعة الفاحشة، الّتي هي آية النّور، يعني: يريدون أن يرجفوا بين صفوف المسلمين، ويحبّون أن يكون حال المسلمين فيه ما فيه من انتشار الفاحشة، أمامها: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

قالوا: (النّاصحون هم الّذين بقوا في المدينة محترزين من إلقاء الأراجيف وإثارة الفتن وسعوا إلى إيصال الخير إلى المجاهدين الّذين سافروا فقاموا بمهمّات بيوتهم)، المجاهدون الآن ألم يسافروا؟ تركوا

---

(١) التوبة: ٩٣.

من؟ أعراضهم، وبيوتهم، فهؤلاء ﴿نَصَحُواْ﴾، صحيح أنّهم مرضى، أو ضعفاء، أو كذا، لكن ما كانوا يتكلّمون ويخوّفون أهل المدينة (ذهبوا ولن يعودوا ذهبوا في مهلكة ذهبوا ولن يعود رجالكم) لا ما كانوا يفعلون هذا ولا يلقون الأراجيف بل كانوا يصلحون ويقومون بمهمّات بيوتهم، ويبذلون جهدهم في إيصال الأخبار السّارّة إلى بيوتهم. فهذا جارٍ مجرى الإعانة على الجهاد، بمعنى: خرج قوم مجاهدون، وقوم ضعفاء بقوا في المدينة، هؤلاء ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ما عليهم سبيل، بالعكس سيكونون مقويّن للمجاهدين.

ما حالهم هؤلاء الآن؟ ﴿نَصَحُواْ﴾. ما معنى ﴿نَصَحُواْ﴾؟ **هنا المهمّ:**

- ﴿نَصَحُواْ﴾ في هذه الحالة.
- وبعد ذلك ﴿نَصَحُواْ﴾ عمومًا.

في هذه الحالة كانت النّصيحة أن يبذلوا جهودهم في:

- ✓ أن يُهدّؤوا الأوضاع في المدينة.
- ✓ وأن يسدّوا حاجات أهل المدينة.
- ✓ وأن ينقلوا الأخبار السّارّة لأهل المدينة.
- ✓ وأن يكتموا الأخبار الغير السّارّة عن أهل المدينة.

بحيث يجلس أهل المدينة، نساؤهم، وصغارهم، في حال من الطّمأنينة.

قارني: بين هذه الحال، والحالة السّابقة الّتي في سورة النّور؟ ماذا كانت حالتهم؟

- كيف هذا رأس المنافقين كان يطيب له النّوم وهو مزعج لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم؟
- كيف يطيب له النّوم وهو يعلم أنّه قد أوقع في قلب النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من الألم ما الله به عليم؟

ولذا لابدّ أن تعرفي: الفرق الكبير بين إنسان يحبّ أن يشيع الخير في مجتمع المسلمين، حتّى لو ما تمكّن هو بنفسه أن يفعل؛ يدعو ربّنا: (الله يهدي الشّباب، والشّابّات، ويصلحهم، ويردّهم إليه ردًّا جميلًا، ويجعلهم جميعًا مقيمي الصّلاة)، يدعو وهو محبّ للصّلاح، غير حين يتاجر فيما يصل بهم إلى الفسق والفجور غير حين يتاجر بالمخدّرات غير حين يتاجر وتصير حياته مَبنيّة على إفساد المجتمعات أكيد أنّهم ما نصحوا لله ولرسوله وأنّ مالهم حرام حرام ليس هناك نقاش في هذا الشّأن.

فالمقصد: هناك فرق كبير بين مَنْ يحبّ إشاعة الفاحشة، ويجعل مجتمع المسلمين من فساد إلى فساد، وينشر المقاطع، ويشتري ذمم

الضّعفاء من المسلمين، ويجعل لهم منصّات لنشر الباطل، وبين الّذي ينصح ويبذل ويمنع؛ فرق كبير فهذا دليل الإيمان، وهذا دليل النّفاق الخالص والمشكلة: يكون الإنسان ضعيف الإيمان ويأتي مثل هذا المنافق يشتري ذمّته، يبيعها هذا ضعيف الإيمان بكلّ سهولة، ويقول لك: (من أجل أن أعيش) فالمقصد الآن: هذا أصل النّصيحة هنا، كما ذكر المفسّرون.

سنوسّع الآن مسألة النُّصح، النُّصح الآن أمام إشاعة الفاحشة، أنت من أجل أن تطمئني -وإن شاء الله نكون بريئات تمامًا من هذه المشاعر- أنّك بعيدة تمامًا عن إشاعة الفاحشة؛ لابدّ أن تتّصفي بالصّفة الثّانية المقابلة، **وهي**: النُّصح لله ولرسوله وللمؤمنين ولوليّ أمرنا ولجماعة المسلمين. ونحن سنّهتم الآن بجماعة المسلمين. والنّصح لوليّ الأمر هذا يُدرس عادة في كتاب الفتن؛ لأنّه له تفاصيله وأحواله. لكن نحن نتكلّم الآن عن النّصح للمسلمين المبني على النّصح لله ولرسوله.

ما معنى النُّصح للمسلمين؟ النُّصح، بمعنى: الإخلاص الخالص، يُقال عسل ناصح، يعني خالص ليس فيه شوائب. فأنت الآن في موقف النُّصح للمسلمين، **معناه**: أنّك تحبّين للمسلمين ما تحبّينه لنفسك، ومعنى ذلك: مِن نُصحك أنّك إذا وقعت بنفسك في منكر؛ تبغضين أن

يقع المسلمون في نفس المنكر؛ بل ويتعدّى الشّأن أنّك تبذلين جهدك في النُّصح عن هذا المنكر، وفي التّنبيه عليه، ويكون شأنك في هذا الخوف من سقوط المسلمين في الفاحشة، يعني: إذا كان المنافقون يريدون أن يسهّلوا الطّرق للوصول إلى الفاحشة، أنت أيّتها النّاصحة الأمينة للأمّة ابذلي جهدك في أن تقطعي كلّ السّبل الموصلة للفاحشة؛ هذا القطع ممكن أن يكون بدون ما تكون لك علاقة بالمسألة، وأحيانًا تكونين تعرفين، وقد دخلت بطريقة أو بأخرى، عرفت أنّك تكتبين هذه الكلمة فتدخلين على كذا، وتدخلين على كذا، فتبقين تنبّهين: (لا تدخلوا أنفسكم، لا تورّطوا أنفسكم في كذا فإنّه في النّهاية يكون كذا)، بمعنى: أنّه يمكن أن يأتي الإنسان فيكون مجرِّبًا، أو واقعًا في المنكر، فيأتي الشّيطان ويقول له: (انصح نفسك قبل أن تنصح النّاس وأنت ائتمر بالمعروف قبل أن تأمر غيرك!) **نقول**: هذا الموقف لابدّ أن يُفهم فيه أنّ لنا وظيفتين:

الوظيفة الأولى: أن ننهى أنفسنا عن المنكر، ونأمرها بالمعروف، ونمتثل هذا.

والوظيفة الثّانية: أن نأمر غيرنا بالمعروف، وننهى عن المنكر.

فإذا تخلّفنا عن الوظيفة الأولى؛ لا نتخلّف عن الوظيفة الثّانية.

يأتي أحد يقول: (لكن هكذا سنشابه اليهود الّذين قال الله فيهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[1]، لكن أنت لست ناسية لنفسك؛ أنت تريدين من نفسك أن تصل للحقّ، لكنّها عصيّة عليك.

-الله يحفظنا- قد يكون إنسان قد ابتُلي بالإدمان على شيء من الأشياء من النّظر، من الكلام، من أيّ شيء؛ ومع ذلك مع أنّه ابتُلي بذلك؛ -هو الآن يريد التخلّص لكن لا قدرة لديه، مُبتلى به- فمن أسباب قدرته على الإقلاع أن ينصح غيره، هذه وظيفة مهمّة. **فالمعنى الآن**: أنّ النّاصحين لهم صفات:

الصّفة الأولى: أنّهم يكرهون إشاعة المنكر ويحبّون إشاعة المعروف:

حتّى لو هم وقعوا في المنكر لازالت قلوبهم محبّة لإشاعة المعروف، مثلا: تجدين كبيرًا في السّنّ يدخّن، ثمّ يأتي لشابّ تعلّم الآن التّدخين، فيقول له: (اسمع هذه النّصيحة: فإنّ هذا طريق لو بدأته لن تقدر على تركه ولن تجد من ورائه إلّا كلّ شرّ)، فالآن الصّغير هل يقول له: (مُر نفسك)؟ فعادة هذا الّذي يحصل في النّفوس لأنّ الشّيطان يحرّشهم فالكبير ما يمتنع عن النّصح حتّى لو قال الصّغير هذا الكلام، إلّا ويجد قلبًا مخلصًا يستجيب لهذا الكلام.

---

(١) البقرة: ٤٤.

وأنت انظري: يدخل هذا الرّجل الشّابّ عند طبيب، ويكون الشّابّ مريضًا برئته، فيقول له الطّبيب: (لا تدخّن)، وهو يرى عند الطّبيب علبة الدّخان يقول له: (أنا لن أدخّن حين تمتنع أنت!)، يقول له الطّبيب: (إذا أردت أن تواصل التّدخين -الله يسهّل لك- اذهب ومت في النّهاية أنا ما عليّ، أنا عليّ أن أنصحك أنا أرتكب الخطأ فهذا شأني لكن شأني أيضًا أن أنصحك).

فأنت الآن في هذا الموقف فكّري بنفس الطّريقة: أنت مثل طبيب الآن: (حتّى لو كنت أنا أرتكب الخطأ، فأنا أكثر من غيري أستطيع أن أنصحك في الأمر، مع رجاء الله أن أخرج من هذا الأمر، فنفسي ليست راضية عن هذه الحال، لكن مع ذلك أنصحك لعلّ الله أن يعفو عني).

ولذا **"وظيفة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر"**، دائما يُهجم عليها، ويُقبَل ويُنشَر للطّرف الثّاني! يعني أنت في المجتمع الآن عمومًا تجدين هذا التّناقض الّذي يتكلّم عن إشاعة المنكرات والفحشاء، والّذي يدعو إلى كذا وكذا المجتمع يقبله والّذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، المجتمع يجد كلّ العيوب الّتي من الممكن أن يُلصقها فيه ويقول: (ما عندهم أسلوب، ما عندهم كلام، ما عندهم طريقة) إلى آخره وكأنّ النّاصح عدوّ لك وكأنّ النّاصح يريد إشاعة المعروف بين المسلمين.

كلّ هذا من آثار الشّيطان الرّجيم -الله يعيذنا من الشّيطان، ويكفينا شرّه- فهذه طريقة لنكون ممّن نصح.

الصّفة الثّانية: من أهمّ معالم النّصح: السّتر:

وهي عبادة عظيمة أمام رؤية، وسماع، وشهود، المنكرات، **بمعنى**: أنت تشهدين على شخص، أو تشهدين على جماعة، شهدت لسبب أو لآخر قيامهم بالمنكرات، مثلا: أعطتك هذه بنت الجيران هاتفها لأجل أن تقرئي شيئًا، أو لأجل أن تصوّري لها شيئًا، ولمّا أخذته ظهر لك شيء منكر. فالآن أنت شهدت المنكر، وواضح لك أنّه منكر، ما هو النّصح في هذا الموقف؟ أوّل النُّصح السّتر.

تقولين: (لا بدّ أن أقول لابدّ أن) اصبري:

- ✓أوّل قيمة ستظهر لك: [السّتر]، وليس قصدك بذلك أنّك تبعدين عن المشاكل لا **و إنّما قصدك بذلك**: إعانتها على الخروج عن الباطل.
- ✓قمنا بالخطوة الأولى وسترنا؛ هذا السّتر يتضمّن نُصحًا لطيفًا صادقًا، وبطرق تكون لطيفة، بعيدة عن المواجهة واللّوم، **خصوصًا**: مع اعتبار عامل السّنّ، واعتبار عامل الظّروف البيئيّة الّتي تحيط بهؤلاء النّاس.

✓فإذا عملت هذا، ووجدت أنّه لا توجد نتيجة، وتخشين من تطوّر الأمر أكثر من ذلك؛ لابدّ أن تكوني غاية في الحكمة، وكثير من الاستخارة، وكثير من التأمّل في الموقف، حتّى تتّخذِي قرارًا، وتنبّهي وليّ أمرها، أو وليّة أمرها.

لكن انظري: في البداية **الأصل**: [السّتر]. وتصوّري هذا: على الأصعدة الأخرى، **بمعنى**: أنت ترين سلوك هذا الجار ليس سويًّا، قدّر الله أنّك أنت الّتي ترين أنّه غير سويّ، أبدًا لا تجتمعي مع جاراتك، وتتكلّمي في الأمر، وكأنّك لا رأيت ولا سمعت، يعني هناك أحوال مكن أن نقول فيها: (انصحي، وبعد ذلك صعّدي الأمر وبلّغي من هو مسؤول؛ لأجل أن يكون هناك إصلاح؛ لأنّنا نخاف أن يتطوّر الأمر، **لكن**: هناك مسائل، ومواقف، لا يوجد فيها هذا الشّأن؛ **وإنّما فيها**: (لا سمعت ولا رأيت أبدا أبدا)، محتسبة في ذلك أنّ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1]، والأصل: أن أقيل أصحاب الهيئات، **يعني**: الآن الأصل أنّك تسترين، وأمّا إن كان صاحب هيئة. يعني: له مكانة، خصوصًا في الدّين. مثلًا: هذا إمام المسجد، هذا مسؤول عن أوقاف، الّذي يكون. ثمّ رأيت زلّة قدم منه، اطّلعت عليها، **فيأتي النّصّ يقول**: «أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ»[2]، أقيلوهم، **بمعنى**: كأنّكم ما رأيتم، ولا سمعتم، تجاوزوا

(١) أخرجه البخاري (٢٣٣٧).

(٢) أخرجه أبو داوود (٣٨٦٤).

شأنهم، إلّا إذا بلغت السّلطان؛ فهذا شيء آخر، فأحيانًا تكون الأمور تطوّرت ووصّلها أحد إلى المحاكم. **لكن**: لو أنت ويكون هذا ذا هيئة؛ لا تخرجين وتقولين: (والله صُدمت وما تخيّلت) وهذه القصّة العاطفيّة (وهؤلاء مستقيمون وصدموني وصدموني) كلّ النّاس خطّائين، «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ»[1]، أمّا أنّك تظنّين أنّه هناك أحد معصوم فقد أخطأت وحين ترين عثرة غيرك، **تذكّري فقط**: أنّه ربّما يطول بك العمر فتقع منك عثرة أعظم منها ويكون وقتها مالك حاجة عند الله إلّا السّتر فمن هذا الّذي يضمن نفسه؟

وأنا أشهد، وكثيرات منكنّ يشهدن على أحوال: أنّ اليوم تأتي الأمّ في المدرسة تنتقد بنت النّاس: (أنّني ما تصوّرت وهذه البنت فعلت وتركت) وإلى آخره وما ينتهي العام إلّا وتقع ابنتها في عثرة أكبر منها وهذا لا يُعدّ ولا يُحصى!

فالسّتر عبادة، **لابدّ أن نعرف**: أنّ المحافظة على أعراض المسلمين، وعلى سمعتهم، وعلى أوضاع المسلمين وأحوالهم، شأن عظيم لا تستهنّ بالغيبة الّتي تقع في الأعراض هذه من أشدّ أنواع الغيبة الّتي فيها اتّهامات بالخيانات ثمّ إنّ النّاس من كثرة ما أصبح الأمر سهلًا عندهم، أصبحت الاتّهامات بالجملة هكذا بالجملة يأتون على عوائل معيّنة، أو

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٣٦).

على أناس معيّنين، ويقول لك: (هؤلاء عندهم الأمور عاديّة والفحشاء ممكنة)

يأتي أحد يقول: (لكن هو ظاهر منهم فهكذا هو لباسهم فهكذا هو حجابهم) **نقول**: أنت لو رأيت بعينك تسترين، فكيف بالتّخمينات؟ كيف حال التّخمينات والاستنتاجات؟ كيف سيكون حالها في الإسلام؟ بل كلّما رأيت عند النّاس ما يعيب، يكون حالك أن تكوني ناصحة، وربّما ما بلغتهم بالنّصح، **لكن**: الدّعاء يبلغ السّماء، فإذا كنت أنت صادقة في نصح المسلمين ستدعين لها: (الله يهديها، الله يسترها، الله يبعدها عن الشّرّ).

وكم سمعنا: من علمائنا الكبار، أنّهم يجدون عورة في سائق السّيارة الّذي يوصلهم، في الكاتب الّذي عندهم، في الإداري الّذي يشتغل معهم، أحيانًا في المحتاج الّذي يحتاج منهم. **وقد ذُكر**: عن الشّيخ ابن باز -رحمه الله رحمة واسعة- أنّ محتاجًا أتى إليه، فكتب كاتب الشّيخ مبلغًا، فوضع المحتاج حين خروجه صفرًا على المبلغ، يعني لو كان المبلغ ٤٠٠٠ وضع صفرًا صار: ٤٠٠٠٠ -وطبعًا- هو من جهله لأنّ المبلغ يُكتب كتابة ورقمًا، نزل إلى المحاسب، فاكتشف المحاسب مباشرة، فاتّصل بالشّيخ أنّه: (كذا، وكذا)، قال الشّيخ: (اصرفه له)، فستر عليه، **يعني**: الشّيخ فَهَّمَ المحاسب أنّ هذه غلطة من الكاتب، سترًا على هذا. ومثل

هذا ماذا تتصوّرينه؟ وحتّى أنّه له حكاية لطيفة مع سارق وقع على بيته، ونصحه الشّيخ، فهذا أمر واقع أن يكون السّتر سببًا للهدايات إن صدق الإنسان.

وسنبقى نكرّر على أنفسنا: أنّ الفرق بين المنافق، وبين المؤمن:

- ✓حبّ المؤمن لصلاح مجتمع المسلمين.
- ✓في قلبه حالة من الحرارة والعناية بمجتمع المسلمين.
- ✓يكره أن تشيع الفاحشة في مجتمع المسلمين.
- ✓يحبّ أن ينتشر الخير في مجتمع المسلمين.

فإذا -وهذا يحصل الآن كثيرًا- أنت جالسة في سيّارتك ومرّ عليك مُنْكَر، شعر مكشوف، إلى آخره. حتّى الّتي بجانبك لا تكلّميها حتّى الّتي معك في السّيّارة لا تقولي لها: (مرّت علينا كذا وكذا) لا تشعن الفحشاء لا تشعنها الأصل السّتر، السّتر، فليس هناك فائدة أبدًا أن تقولي: (مرّ علينا كذا، رأينا كذا، عند الإشارة لقينا كذا، في المطعم الفلاني وجدنا كذا)، الفائدة الوحيدة الّتي سيجدها الشّيطان هي إشاعة المنكر وسهولة الوقوع فيه وتصير النّتيجة أنّ النّاس يقولون: (لسنا نحن أوّل من فعل قد سبقنا من فعل) ويأتي أحد يزيد المسألة بلاء ويصوّر أحوالًا معيّنة فيها من الفضائح وينشرها ويثير النّاس ويكتب لهم:

(وفضيحة فلان وفضيحة علاّن) تقومين أنت أيّتها المؤمنة التّقيّة تجدين مكتوبًا: (فضيحة فلان) فتقومين بفتحها.

هذا بنفسه من عدم السّتر: شهوة متابعة فضائح النّاس شهوة باطلة مؤذية مفسدة للمسلمين أمّا نشرها فهذه مقاربة لأهل النّفاق فهذه هي إشاعة الفاحشة.

المهمّ: مَن حَرَصَ على ديار المسلمين، وعلى بنات المسلمين، وعلى شباب المسلمين، نصح لهم بسترهم، وبالدّعاء لهم، فليس هناك أيّ مصلحة من إشاعة الفاحشة إلّا مصلحة شيطانيّة -نعوذ بالله من الشّيطان-.

جزاكنّ الله خيرًا

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللّقاء الثّلاثون

٢٠ شعبان ١٤٤٠

التّعليق على رسالة "ذمّ قسوة القلب" لابن رجب
والكلام حول استقبال رمضان

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكّلنا على الله، هذا يومنا ختام مناقشاتنا في دروس الخميس في هذه السّنة المباركة عام ١٤٤٠هـ، أسأل الله -عزّ وجلّ- بمنّه وكرمه أن يتقبّل منّا كلّ السّاعات الّتي جلسناها للعلم، وأسأله -سبحانه وتعالى- أن يجعل ختام أعمالنا إلى خير، وأن يجعل هذا الشّهر الكريم الّذي نستقبله شهر خير وبركة على الجميع، اللّهمّ آمين.

سنختم اليوم بقراءة في هذه الرّسالة: **"رسالة قسوة القلب"**، وسيتبيّن لنا ما العلاقة بين استقبال هذا الشّهر الكريم وبين مسألة **"قسوة القلب"**.

قال رسول الله: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»، و«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»[1]، و«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»[2]، فلابدّ من [الإيمان والاحتساب] ليأتي الأجر، **وهو**: المغفرة.

وحين يسأل السّائل: (ما الطّريق إلى زيادة الإيمان؟)، سيكون: زيادة الإيمان إنّما في الأصل مكانها القلب، ونقص الإيمان -الأصل- مكانه القلب، **فمعنى ذلك**: أنّ التّفكير في القلب، وشأنه هو الّذي يُسبّب استقبال الشّهر كما ينبغي؛ لأنّ «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»، و«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»، و«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»، ترتّب على هذا [الإيمان والاحتساب] مغفرة الذّنب، غُفِرَ لهُ؛ فمن أجل أن نصل إلى مغفرة الذّنب لابدّ من زيادة الإيمان، ومدخل زيادة الإيمان إنّما هو القلب.

وهناك أسباب واضحة جدًّا لزيادة الإيمان من أهمّها: العلم، من أهمّها: الطّاعات، ومع ذلك ترين نفسك تزدادين طاعة، وما ترين مؤشّر الإيمان يزداد -فيمكن أن يحصل ذلك- وهنا تكمن المشكلة.

مثاله: يُتوقّع أنّ اليوم الثّاني في رمضان سيكون أكثر إيمانًا من اليوم الأوّل، في الأحوال العامّة الّتي يعيشها النّاس، يكون اليوم العاشر مثلًا من رمضان أضعف من اليوم الأوّل! اليوم الثّاني عشر يكون أضعف

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٨١٧).

من الّذي قبله، ويجد الإنسان نفسه في حال من الضّعف بدلًا من أن يكون في حال من القوّة؛ وكأنّ القوّة الّتي ابتدأ بها إنّما هي قوّة الحماس، قوّة أنّه ابتدأ الشّهر فقط متحمّسًا لبداية الشّهر، تغيير في العادات وتغيير في الأوضاع سبّب له الحماس، ثمّ إذا ذهب هذا عاد إلى الفتور:

- فهذا دليل على أنّنا لا نسير في الطّريق المستقيم.
- وهذا دليل على أنّ الأعمال الصّالحة لا تزيد الإيمان؛ لأنّها لو كانت تزيد الإيمان لكان اليوم الثّاني أحسن من اليوم الأوّل، والثّالث أحسن من الثّاني، وهكذا.

فإذًا: أكيد أنّ هناك مشكلة بسببها لا يدخل أثر العمل على القلب فيزداد الإنسان إيمانًا؛ فإنّ أهمّ أثر للعمل زيادة القلب إيمانًا؛ ليكون الغد أحسن من اليوم، وكلّ يوم في حياتك يكون غَدُه أحسن من أمسه لأنّك ازددت إيمانًا، فأكيد أنّ هناك مشكلة جعلت الأعمال تدخل، لكنّها تقف عند القلب وما تسقط فيه؛ ومن ثَمَّ لا يزداد الإنسان إيمانًا. ما السّبب؟ **بكلام مختصر**: **"قسوة القلب"**! يكون القلب قاسيًا -والعياذ بالله- فإذا قسى القلب، الأعمال ما تجد منفذًا تدخل منه. يعني: أثر العمل الّذي هو زيادة الإيمان، ما يجد العمل منفذًا يدخل منه.

فالآن نحن نريد أن نناقش: مشكلة **"قسوة القلب"** على أنّها السّبب المانع من انتفاعنا بالأعمال الصّالحة؛ لأنّ العلم والأعمال الصّالحة أهمّ سببين لزيادة الإيمان؛ فإنّ أهمّ سببين لزيادة الإيمان:

⇐ أن تعملي صالحًا.

⇐ وأن تتعلّمي علمًا يُرضي الله عزّ وجلّ: تتعلّمين كتاب الله، وتتعلّمين سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

حينما يكون العلم حاصلًا، والعمل حاصلًا، لماذا لا يوجد زيادة إيمان؟! فمن المؤكّد أنّ المكان الّذي يجتمع فيه الإيمان فيه مشكلة؛ لذلك تكون النّتيجة كما ترين!

ما هو دليلي على زيادة الإيمان؟ يعني: ما هو المؤشّر أنّ هناك زيادة إيمان؟ بكلام مختصر أيضًا: زيادة الإيمان هي زيادة شعورك بالحقائق الغيبيّة، يعني: تقرئين القرآن وأنت تعلمين أنّ [القرآن كلام الله]، هناك فرق كبير بين أنّك تشعرين أنّه كلام الله، وبين أنّك تشعرين أنّه كلام تقرئينه؛ لأنّك تقرئين أشياء كثيرة وتقرئين القرآن؛ فحال قرآتك للقرآن، زيادة الإيمان تُسبّب لك **الشّعور اليقيني**: أنّ هذا الكلام كلام الله، حتّى أنّ الإنسان يصل إلى درجة ما يستطيع أن يصف هذا الشّعور، يعجز أن يصف هذا الشّعور، كلّما مرّت عليه حقائق الإيمان يشعر بها؛ فهذه هي اللّذّة المطلوبة لأنّ الإنسان يشعر باللّذّة -فنحن

نقول هكذا: (يشعر باللّذّة)- فَلَذّة الإيمان لابدّ أن تكون معها مشاعر، فما هو دليلي على أنّني أزداد إيمانًا أو أنقص إيمانًا؟ مقدار شعورنا بالحقائق الغيبيّة.

الآن أنت تسمعين: أنّه يدخل رمضان فتُصفَّد الشّياطين، هل تشعرين بهذا؟ هل هذه حقيقة عندك؟ بحيث أنّك تشعرين حقًّا أنّك الآن كلّ المطلوب منك أن تحملي نفسك على العمل لأنّ الشّياطين الّتي هي عدوّتك قد صفّدها الله. تُفتَّح أبواب الجنّة، هل هذه المشاعر موجودة أنّ أبواب الجنّة مفتوحة؟ إنّ هذه المعلومات كلّ سنة نحن نسمعها هي نفسها في استقبال رمضان، لكن المفترض أن يكون الفرق أنّني كلّ سنة أشعر بها أكثر، حصيلة سنة كاملة من زيادة الإيمان.

إذًا كلّ الوعود الموجودة في رمضان -[وعد المغفرة]، النّاتج من الصّيام، النّاتج من القيام، النّاتج من قيام ليلة القدر- مرتبطة بزيادة الإيمان «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»، «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»، و«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»، رُتّب على ذلك: [المغفرة].

إذًا: المفترض: أن تدخلي على رمضان ويكون الإيمان زائدًا؛ ليحصل لك ويترتّب الأجر. ومن المفترض أنّ كلّ يوم من رمضان يزيدك إيمانًا. ما هي أسباب زيادة الإيمان؟ من أشهر أسباب زيادة الإيمان:

١) العلم.

٢) والعمل.

وها هما في متناول اليد العلم والعمل، ها نحن نحضر مجالس العلم -الحمد لله- الله يكثّرها، ويبارك فيها، وما يحرمنا منها، وها نحن نعمل بفضل الله مصلّين، صائمين، مسبّحين، ذاكرين؛ فالسّببان موجودان، هل يزيد الإيمان؟ إن شاء الله يزيد الإيمان، لكن هناك مؤشّر؛ لأنّ (إن شاء الله) هذه ليست جوابًا! وإنّما هناك مؤشّر. ما مؤشّره؟ زيادة الشّعور بالحقائق الغيبيّة؛ هذه الكلمة هي الّتي نقولها: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»؛ هذا هو المعنى الّذي أتى به النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، المعنى الواضح جدًّا: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[١]؛ وهذا الإحسان، فليأتي لحظة، فليأتي ثانية في حياتنا، فليأتي! لابدّ أن يكون إحساسنا بهذه الحقائق الغيبيّة مطلبًا لنا، بهذا نصل إلى الشّعور بقلوبنا أنّها موجودة، وأنّها تشعر بالخطاب، وتفهمه، الّذي يأتي في كتاب الله، الّذي به تخاطب مولاها، الّذي فيه: «حَمِدَنِي عَبْدِي»، «أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي»، «مَجَّدَنِي عَبْدِي»[٢]، أليست هذه في الفاتحة مطلوب أن نعيشها كمعانٍ؟ **هذا هو المقصد**: [زيادة الإيمان].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٦٣٣).

النّتيجة الآن من كلّ هذا النّقاش: شيء واحد واضح جدّا: أنّ القلوب ضُربت بالقسوة -إلّا من رحم ربّي- والحمد لله الّذي رحم ربّي كثير، لكنّها ضُربت بالقسوة.

فلابدّ أن نفهم:

- ما مظاهرها؟
- ما أسبابها؟
- ما علاجها؟

من أجل أن نجهّز أنفسنا أن تنتفع بالشّهر.

ودائمًا نذكّر أنفسنا: أنّ القلب القاسي ما يشعر بشيء، كالجزء المشلول من البدن ما يشعر بشيء! فإذا كان القلب قاسيًا لن يشعر بشيء. فكلّ حلاوة الإيمان، وطعمه، لن يشعر به، وهذا لا علاقة له في نقاشنا بقبول العمل وعدم قبوله، وليس له علاقة في أنّ هذا الصّائم قد قُبِل صيامه، أو نقول -مثلًا- أنّه قام بما يجب عليه؛ هذا ليس نقاشنا، فنحن نتكلّم عن: كيف أنتفع انتفاعًا تامًّا من هذا الشّهر؟

التّعليق على أدلّة "قسوة القلب" الّتي أوردها ابن رجب

سنقرأ الرّسالة بأكثر ما يمكن اختصارًا، لكن المهمّ أن نعرف الفكرة الأساسيّة الموجودة. وهي رسالة لطيفة لابن رجب، اسمها: **"ذمّ قسوة القلب"**.

قال ابن رجب -رحمه الله- في رسالته **"ذمّ قسوة القلب"**: (بسم الله الرّحمن الرّحيم، قال الإمام العلامة الحافظ زين الدين ابن الشيخ أبو العباس أحمد بن رجب- فسح الله في مدّته ونفع به -: الحمدُ لله، رسالة في ذمِّ قسوة القلب، وذكرِ أسبابها، وما تَزول به. **أما ذمُّ القسوة**).

سيتكلّم عن ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل: ذمّ قسوة القلب.

الأمر الثّاني: ذكر أسباب القسوة.

الأمر الثّالث: وما تؤول إليه، يعني: ما تصل إليه النّفوس إذا قسا القلب.

وهو في النّهاية سيذكر أيضًا العلاج.

قال: (**أما ذمُّ القسوة:** قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، ثم بيَّن وجه كونها أشدّ قسوة بقوله

تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ﴾[1].

هذا أوّل نصّ ذكره في **"ذمّ قسوة القلب"**. وهذا النّصّ نصّ مشهور في سورة البقرة في سياق الكلام عن قصّة البقرة، وكيف أنّ بني إسرائيل شهدوا حالًا كان من المفترض أن يكونوا فيها معظّمين لربّ العالمين، لأنّه في قصّة البقرة لمّا ذُبحت وأُخذ منها جزءًا ميّتًا، وضُرب به الميّت فأحياه الله، فأخبر عن قاتله؛ هذا كان يجب أن يكون سببًا لإيمانهم، ومع ذلك رأوا بأعينهم هذا، وسمعوا بآذانهم هذا، لكن ماذا كان المتصوّر منهم؟ أوّلًا: المتصوّر منهم: أن يزدادوا إيمانًا، لكن الّذي حصل منهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾؛ ما كان يُتصوّر هذا الأمر، نحن نتصوّر: أنّنا لو شهدنا موقفًا يزيدنا إيمانًا؛ من المفترض أن نزداد إيمانًا، لكن هم لمّا حصل لهم هذا قست قلوبهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾، وذمّها الآن بتشبيهها بالحجارة: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، ثمّ بيّن الله أنّ الحجارة أحسن حالًا منهم؛ لأنّ من الحجارة ما يحصل له التّفجّر بالأنهار، ومنها ما يحصل له التّشقّق فيخرج منها الماء ومنها ما يهبط من خشية الله، وهذا كلّه دليل على أنّ هذه الحجارة أحسن حالًا من جهة شعورها؛ لأنّها تهبط من خشية الله، وهؤلاء قاسية قلوبهم.

---

(١) البقرة: ٧٤.

إذًا: هذا النّصّ الأوّل الدّالّ على **"ذمّ قسوة القلب"**. وهو سيذكر بعض النّصوص الدّالّة على **"ذمّ قسوة القلب"**؛ النّصّ الأوّل واضح أنّه في بني إسرائيل، نأتي للنّصّ الثّاني الّذي في سورة الحديد:

(وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1]

هذا النّصّ يُحذّر المؤمنين من أن يقعوا فيما وقع فيه أهل الكتاب. انظري إلى الآية: في ماذا وقع أهل الكتاب؟ ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، ما السّبب في كونهم ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؟ طول الأمد؛ والمقصود: (بطول الأمد):

⇐ طول بعدهم عن ذكر الله، وعن العلم، وعن الإيمان.

⇐ بل وطول بعدهم عن مراعاة قلوبهم، والتّفتيش فيها، وملاحظة ما هو حاصل في داخلها.

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾، يعني: طال عليهم أمد التّفتيش. ﴿الْأَمَدُ﴾، يعني: الوقت. أمد العلم. هذه المدّة الزّمنيّة طالت بينهم وبين ماذا؟

⇐ طال عليهم فلم يطهّروا قلوبهم.

---

(١) الحديد: ١٦.

⇐ طال عليهم فلم يعتنوا بها.

⇐ طال عليهم فلم يغذّوها بالإيمان.

⇐ طال عليهم فكانت النّتيجة: ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

فإذًا: هذا النّص الثّاني فيه:

⇐ ذمّ لأهل الكتاب بقسوة القلب.

⇐ وتحذير للمؤمنين أيضًا.

نأتي إلى النّصّ الثّالث الّذي في سورة الزّمر:

(وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

وهذا النّصّ الثّالث فيه ترهيب لحالهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ﴾، يعني وعيد على هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله، يعني: يُذكر الله وقلوبهم على حالها من القسوة، ليس لذكر الله أثر في قلوبهم!

قال: (فوصف أهل الكتاب بالقسوة، ونهانا عن التشبّه بهم. قال بعض السلف: لا يكون أشدّ قسوة من صاحب الكتاب إذا قسا.)

الآن الآيات السّابقة وصفت أهل الكتاب بالقسوة، ونهتنا عن ذلك، ثمّ انظري: لقول السّلف الّذي نقله، قال: (لا يكون أشدّ قسوة من

(١) الزمر: ٢٢.

صاحب الكتاب إذا قسا)، يعني: حين يكون الإنسان صاحب كتاب (التّوراة، الإنجيل، القرآن)، وبعد ذلك يقسو قلبه، فلا يكون هناك أحد أقسى منه. **والسّبب**: أنّ كلّ النّصوص تكون موجودة أمامه، قد عرفها، وسمعها، ليس جاهلًا بها، فإذا ذُكّر بها وقلبه قاسٍ لن يتأثّر! **في مقابل**: أنّ الّذي يكون ليس صاحب كتاب، ثمّ يُعرَض عليه الحقّ، ويُبيَّن له، ويكون هذا الأمر لم يسمعه سابقًا، ولم يتكرّر عليه؛ **يكون الأثر**: أنّه ربّما وقع في قلبه؛ وهذا الّذي يجعل الإنسان -والعياذ بالله- حين يقسو قلبه؛ يُحذَّر تحذيرًا واضحًا حال دخوله الذّنب، وهو كأنّه لا يسمع ولا يرى! يُقال له: (لا تدخل باب الرّبا، ولا شبهة الرّبا، فإنّ الّذي يدخل الرّبا قد آذنه الله بالحرب!)، يسمع هذا وهو يفهم أنّ هذا نصّ من كتاب الله، يعرفه لا يجهله، لكن بسبب قسوة القلب كأنّه ما يسمعه! فليس هناك قسوة أشدّ من صاحب الكتاب إذا قسا؛ لأنّ النّصّ يكون معروفًا عنده، يسمعه، ومن الممكن أن يستشهد به على غيره، لكنّه ما يعمل في قلبه أيّ عمل؛ وهذا لأنّ القلب حين يقسو فإن كثرة المساس بالنّصّ تميت إحساسه به! ولتتصوروا هذا، **تصوّرن**: قلّة عناية النّفوس مثلًا: بالحرمين للنّاس المجاورين للحرمين. فإنّ إحساس النّاس المجاورين للحرمين أنّها متوفّرة، حتّى أنّك ما تجدين في نفوسهم الشّوق، التّمتّع، اللّذة -إلّا من رحم ربّي- والباقي يشعرون وكأنّهم ذاهبون إلى مسابقة ويرجعون، بسرعة، بسرعة كلّ شيء! ولا يشعرون

بأنّ هذا البيت نعمة تمتّعوا به! فكثرة المساس تميت الإحساس. فما يكون أشدّ قسوة من صاحب الكتاب إذا قسا، لكن إذا كان صاحب الكتاب قلبه ليّنًا سيكون أحسن النّاس.

نرى هذه الأحاديث الّتي وردت وحكم عليها ابن رجب:

قال: (وفي الترمذي من حديث ابن عُمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنَّ كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلب، وإنَّ أبعد الناس من الله القلب القاسي».)

هنا فقط تنبيه بأنّ هذا الحديث ضعيف، والحديث الّذي بعده موضوع، لكن لابدّ أن تفهمن طريقة السّلف، الآن هو أورد الحديث، وحكم عليه أنّه موضوع، حين يورد مثل هذا؛ ما يريد منك إلّا أن تعتقدي أنّ هذا أتى في الأثر، الخطأ في نسبته للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لكنّه ممّا أُثر في كلام السّلف، تصوّري المسألة: مع كثرة تكرار هذا الكلام الّذي تسمعينه؛ فقد وصل بالبعض أن نسبوه للنّبيّ -صلى الله عليه وسلّم- يعني: المعنى الموجود صحيح، ومن كثرة ما كانوا يتكلّمون به وصل أن أتى بعضهم فنسبه للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم. أين الخطأ؟ فقط في نسبته للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لكن نفس الكلام صحيح. يعني: مثلا: لو حذفت هذه الجملة: (وفي مسند البزَّار عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم)، وقلت: (قال ابن رجب: أربعة

من الشقاء). لكانت جملة صحيحة، أخذها علمًا عمّن قبله؛ لأنّ اليوم أكثر شيء نجده في قطع علاقة النّاس بالسّلف الصّالح، أن يهاجموهم من هذا الباب. وما يهاجمهم إلّا الجاهل. فهو يريد أن يقول لك: من كثرة تكرار هذا المعنى على ألسنة النّاس رفعوه إلى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ورفعه باطل، لكنّه كلام صحيح في معناه نفسه.

سأطبّق على قوله: (وفي الترمذي من حديث ابن عُمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله».)، إذًا: النّهي عن كثرة الكلام بغير ذكر الله. «فإنَّ كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلب»، يعني: تُسبّب قسوة القلب. «وإنَّ أبعد الناس من الله القلب القاسي»، وهذا أمر واضح لأنّ الإنسان حين يقسو قلبه حتّى لو ذُكر ربّه حوله يكون بعيدًا. وأنت تصوّري: -فمسألة البعد والقرب هذه تحتاج إلى تفكير- أقرب النّاس، يعني: النّاس كلّهم في الأرض؛ أقربهم إلى الله هم أكثرهم ذكرًا، يكون هو ببدنه في الأرض، لكن قلبه معلّق في السّماء، ويكون ممّن يذكره الله في السّماء، **وبالعكس**: النّاس الّذين تكون قلوبهم قاسية؛ يكونون مع أنّهم في الأرض، لكنّهم أبعد ما يكونون بسبب التهائهم بشأن الدّنيا. فهذا المعنى صحيح، بقي نسبته للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ضعيفة. **فهذا هو المقصد**: معنى صحيح، والنّسبة إلى الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- ضعيفة، حين نقول:

(ضعيف)، غير حين نقول: (موضوع)؛ (ضعيف)، يعني: من الممكن أنّ لو تقوّت الطّرق يكون حديثًا حسنًا. نأتي للثّاني:

قال: (وفي مسند البزَّار عن أنس، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أربعة من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا»، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي داوود النخعي الكذَّاب، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، عن أنس.)

هذه الأربعة من حيث وقوعها في الواقع؛ متدرّجة من الأخير للأوّل؛ أوّل مشكلة تبدأ بسببها "قسوة القلب": «الحرص على الدنيا»، ولا يُحتاج في هذا المجلس أن نقول: الدّنيا مَعبَر، والآخرة مُستقرّ، وفي المعبر مُرِّي بأيسر ما يكون، بأسهل ما يكون، لا تثقّلي على نفسك في المعبر، لماذا؟ لتعبري خفيفة؛ وهذا الحرص على الدّنيا يُثقّلك. إذا حصل هذا الثُّقل، وصرت راغبة في الدّنيا، وكلّ يوم ترغبين في الدّنيا أكثر؛ ماذا سيحصل؟ «طول الأمل».

وقد ورد في الحديث الصّحيح في "كتاب الرّقاق"، في البخاري، أنّه: «لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ»[1]، يعني: الصّغار الّذين مثلًا في ٢٥ أو ٣٠، حين ينظرون للكبار في ٥٠، يرونهم

(١) أخرجه البخاري (٦٠٨٣).

كبارًا، والّذين يكونون في ٥٠، حين تقولين له، (هذا عمره ٥٠)، فيقول لك: (صغير!)، فالّذي يكون في ٥٠ يرى أنّ الّذي في ٧٠ هو الكبير، والّذي يكون في ٢٠ يرى أنّ الّذي في ٥٠ هو الكبير، وهكذا، **يعني**: كلّما كَبُرَ كلّما ظنّ نفسه أنّه لازال هناك عمر باقٍ له! فأنت لا تتصوّري أنّك حين تكبرين سيتغيّر طمعك في الدّنيا، أبدًا! كلّ الّذي سيصير أنّك ستغيّرين المطموع فيه! يعني: إذا كان الطّفل الصّغير وهو صغير يحبّ الحلوى الّتي من الدّكّان، أنت ستكبرين وتحبّين الحلويّات الّتي من مراكز الحلويّات، والّذي يكون أكبر يحبّ أنّه ينتج بنفسه، والّذي يدخل في المسألة أكثر، ويكون له ذوق أعلى، سيحبّ أكثر، لكن في النّهاية هي نفس المنظومة، والّذي سيتغيّر فقط هو درجة ورُقِيّ المحبوب وإلاّ فإنّها نفس المسألة ما تتغيّر.

الشّاهد: أنّ الحرص على الدّنيا، وطول الأمل، سببان لقسوة القلب؛ ثمّ إنّ طول الأمل هذا مباشرة سيأتي بقسوة القلب، وقسوة القلب تأتي بجمود العين. يعني: قسوة القلب تسبّب انعدام الشّعور. فالعين متى ستبكي؟ إذا شعرت؛ ولذلك ما علامة قسوة القلب؟ جمود العين، لماذا؟ لأنّ القلب إذا كان ليّنًا سيشعر بالحقائق؛ عدم لين القلب سيجعله قاسيًا، سيجعله لا يشعر بالحقائق، **إذًا**: ليس هناك دمعة ستنزل؛ لأنّه ما يشعر بها أنّها حقيقة، يشعر بأنّه في مكان والموت في مكان آخر بعيدًا عنه، يشعر بأنّه في مكان وأنّ خلوته في قبره في

الظّلماء وحده في مكان آخر بعيدة عنه، يشعر بأنّها أمور بعيدة! لقائه مع ربّه يكلّمه الله ما بينه وبينه ترجمان، أين؟ يشعر بأنّه أمر بعيد عنه! فهذا سيُسبّب من المؤكّد جمود العين.

وهذا سيرجّعنا لأصل الكلام: أنّ زيادة الإيمان تُسبّب زيادة الشّعور؛ ولذلك أنت لا تخاصمي أحدًا قلبه قاسيًا على حقائق الإيمان، لا تخاصميه! تأتي تقولين له: (أطل في صلاتك، اقرأ في الفجر، أَطِلْ فإنّ الملائكة تحضر معك صلاة الفجر)، لا تخاصمي أحدًا قلبه قاسيًا لأنّه ما يشعر أبدًا أنّ الملائكة تجلس معه في هذه الصّلاة! توقظينه للعصر، تقولين له: (الملائكة ستصعد لربّنا، تقول له: وجدته نائمًا!)، ولكن ليس هناك إحساس! لهذا فإنّه إذا كان تحت سلطتك فليس هناك إلّا الأمر، وإذا لم يكن تحت سلطتك فإنّها من المسائل الصّعبة جدًّا المناقشة فيها! فما لك إلّا الدّعاء أن يُزيل الله -عزّ وجلّ- مثل هذه الكرب، **لكن في الحقيقة**: فإنّ النّصوص تكون واضحة جدًّا، لكن مع قسوة القلب هناك مصدّ لفهم هذه المعاني، يصدّ القلب لفهم هذه المعاني.

هكذا أخذنا من الكتاب، ومن السّنّة الحديث الضّعيف، نرى الآن من آثار السّلف:

قال: (وقال مالك بن دينار: ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب. ذكره عبد الله بن أحمد في الزهد.

وقال حُذيفة المرعشي: ما أُصيب أحدٌ بمصيبة أعظم من قساوة قلبه. رواه أبو نعيم.)

إذًا: هذان النّصّان يدلّان على أنّ أعظم عقوبة يُعاقَب بها الإنسان **"قسوة القلب"**؛ ولذا يرتكب الإنسان المعصية، ويجد نفسه في الدّنيا حاله كما هو، لا شيء تغيّر، وربّما زادت عليه دنياه؛ ما يدري مسكين أنّه قد يُصاب بأعظم من فقد الأشياء الّتي في الدّنيا، **وهو**: أن يموت، أو يقسو القلب قسوة ما وراؤها لين! -نعوذ بالله من قسوة القلب-

الأسباب الّتي تؤدّي إلى "قسوة القلب"

نرى الآن الأسباب الّتي تؤدّي إلى **"قسوة القلب"**؛ لنحذرها:

قال: (**وأما أسباب القسوة..فكثيرة: منها:** كثرة الكلام بغير ذكر الله، كما في حديث ابن عمر السابق.).

إذًا: هذا أوّل سبب، وأهمّه؛ **أهمّ الأسباب**: لسانك الّذي مردوده على فؤادك، لابدّ أن تعرف أنّ لسانك هو المشكلة؛ ولذلك في الحديث المشهور: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[1]، **معنى ذلك**: أنّ هذا اللّسان أوّل مردوده إن كان الكلام بغير ذكر الله؛ سيكون قسوةً في القلب.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٦١).

قال: (ومنها: نقضُ العهد مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[1].

قال ابن عقيل يومًا في وعظه: يا من يجد من قلبه قسوة! احذر أنْ تكون نقضت عهدًا! فإن الله يقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ..﴾ الآية.)

الأمر الثّاني: نقض العهد مع الله تعالى، ما هو دليلينا؟ قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ﴾، أي بسبب نقضهم الميثاق لعنّاهم، وهذا يشمل كلّ المواثيق والعهود الّتي بينك وبين النّاس، ابتداء بالميثاق الغليظ الّذي بين المرأة وزوجها، وانتهاءً بكلّ المواثيق الّتي يدخل الإنسان فيها اختيارًا بنفسه: طالب ومعلّمه، معلّم ومدرسته، عامل ومن يعمل عنده؛ كلّ أنواع المواثيق، نقضها، والتّقصير فيها؛ سبب لقسوة القلب، يُضرب على الإنسان بسببها قسوة القلب.

وهذا -الحقيقة- موضوع يحتاج وحده الكلام عنه؛ لأنّ أوّل ما يُرفع من أمّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: الأمانة؛ ولذا أوّل ما ينزل عليهم من العقوبات: **"قسوة القلب"**، كما في حديث حذيفة: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ»[2]، وبعد ذلك هي أوّل ما يُنزع من الأمّة، فإذا نُزع من الأمّة، -بمعنى: صار العدد القليل جدًّا هو الّذي يكون أمينًا- ماذا ستكون النّتيجة؟ أنّه مقابل هذا سيكون هناك قسوة للقلب.

---

(١) المائدة: ١٣.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨).

قال: (ومنها: كثرةُ الضَّحك، ففي الترمذي عن الحسن، عن أبي هريرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تُكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تُميت القلب »، وقال: رُوي عن الحسن قوله.

وخرَّج ابن ماجة من طريق أبي رجاء الجَزَري، عن برد بن سِنان، عن مكحول، عن واثلة بن الأسقع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كثرة الضحك تُميت القلب».)

إذًا: هذان النّصّان يدلّان على هذا السّبب الّذي هو: «كثرة الضحك»، كثيرًا حينما يُذكر هذا السّبب يظنّ النّاس أنّ المطلوب أن نكون في كدر! وطبعًا أنت متأكّدة أنّه ليس هذا المعنى؛ بل إنّ الله -عزّ وجلّ- قد أمرنا بالفرح بفضله، وهو: القرآن، والإسلام، لكن «كثرة الضحك»، هنا المقصود بها: الدّالة على أنّ العبد لا يدري من هو؟ وما وظيفته في الدّنيا؟ وتصبح حالته أنّه باحث عمّا يشرح صدره بأيّ سبب كان! وبأيّ حالة كانت، ولا يمرّ على خاطره مَنْ هو في السّماء، ولا يعتني بذلك؛ لأنّ السّبب هنا ليس الضّحك نفسه هو سبب القسوة؛ إنّما «كثرة الضحك»؛ بحيث أنّه يصبح غاية! وأنتنّ تفهمن الفرق بين كون الإنسان يدخل عليه السّرور ويفرح، وبعد ذلك يضحك، وبين أنّه يبقى يبحث عمّا يُضحكه (شرًّا، خيرًا، نافعًا أو ليس بنافع)؛ ما يهمّه. وأكيد

أنّ هذا النّوع من كثرة الضّحك يجرّه إلى الاستهزاء، أو إلى قبول الاستهزاء!

وترين: كيف تأثّر مجتمع المسلمين بالفكر العلماني؛ فِكْر الكَفَرَة! فوصل الشّأن أنّهم حين لا يكون عندهم حُرمَة لأعراض المسلمين، ولا حُرمَة لأعراض النّاس، ولا حُرمة لإفزاع النّاس! يعدّون برامج فيها إفزاع النّاس! ونحن قد وردت عندنا نصوص بِحُرْمَة إفزاع المؤمن الآمن؛ بل قد ورد في النّصّ الصّحيح، أنّه ما يصحّ للرّجل أن يمرّ في المسجد ونَصْلُ رُمحه بارز؛ لأجل أن لا يفجع المسلمين، يجب عليه أن يضع يده على نصل رمحه إذا كان يريد أن يمرّ، يعني: المكان الحادّ، مثل: السّكّينة، وهناك حرمة على من يشير لأخيه بسكّين.

فكلّ هذه النّصوص، وبعد ذلك ترين أنّ الكفّار يقومون ببرامج فيها إفزاع النّاس، أو تخويفهم؛ يأتي المسلمين ويقلّدونهم بدون أيّ قيم! بدون الشّعور بأنّك ترتكب محرَّمًا عظيمًا! والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في خطبة الحجّ العظيم الّذي قرّر فيها إكمال الدّين حرّم بعضنا على بعض، أبشارنا بعضنا على بعض (دماءنا، أموالنا، أبشارنا، يعني: البَشَرَة)، هل رأيت قلم الرّصاص؟ احرصي أن لا تجعلينه بارزًا

وتحرّكينه بجانب أختك من أجل أن لا يجرح بشرتها، «وَأَبْشَارَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ»[1].

فتصوّري: عندما تتحوّل المسألة إلى مكان للضّحك وأصبح عند المسلمين كأنّه شيء عادي! لا أحد يتألّم في قلبه بأنّ هؤلاء مسلمون يتمّ إفزاعهم! بل إنّ هؤلاء خلق، أُناس بغضّ النّظر كفّارًا كانوا أو مسلمين، أن يدخل في قلوبهم الرّعب. فانظري: من موت القلب وقسوته صار مصدرًا لإضحاك الغير!

وهذا هو المقصد: أنّ من أسباب قسوة القلب أن يبقى الإنسان يضحك فما يبالي إن كان حقًّا أم باطلًا! هل فيه رعب للمسلمين، هل فيه تخويف لهم؟! ليس مهمّا عنده! فيصير الضّحك بنفسه غاية! وهذا دليل على أنّه لا يعرف ما هي غايته في الحياة حين يتحوّل الضّحك بنفسه إلى غاية! انظري إلى الشّباب، -والكبار حقيقة- أنّه حين لا يجد شيئًا في وقته يفعله؛ بدلًا من أن يكون من المسابقين إلى ربّ العالمين، فيقول: (لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد)، مائة مرّة، بدلًا من أن يقول: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[2]، بدلًا من أن يقول أحبّ الكلمات إلى الله: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩٨٦).

أكبر)، يقلّب في جوّاله ويقول لك: (أنا أبحث عن شيء يضحكني) فهذا هو المقصد: أنّه بهذا يكون القلب قد قسا؛ لأنّه نسي سبب وجوده، لكن لا تفهمن من أنّه إذا كان الضّحك سببًا لقسوة القلب، فإنّه بنفسه في الشّريعة ممنوع! فهذا ليس مقصدًا.

قال: (**ومنها:** كثرةُ الأكل، ولا سيما إنْ كان من الشُّبهات أو الحرام. قال بشر بن الحارث: خَصلتان تُقسِّيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل. ذكره أبو نعيم.

وذكر المرُّوذي في كتاب الورع قال: قلتُ لأبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل -: يجدُ الرجل من قلبه رقّة وهو شبع ؟ قال: ما أرى.)

وهذا السّبب واضح، فإنّ كثرة الأكل تقسّي القلب؛ لأنّه حين يشبع الإنسان تبحث جوارحه عن أمر يُسلّيها، أمّا إذا بقي الإنسان جائعًا؛ جوارحه تكون ضعيفة. ولذا تجدن أعداء الدّين شديدي الحرص على هذين الأمرين، خاصّة في شهر رمضان يأتون للنّاس بعد إفطارهم، فيقدّمون لهم برامج فيها كثرة الضّحك، على أساس أنّ البعض من الإيمان الّذي وجدوه في النّهار يذهب! ثمّ يغرونهم سابقًا بالمطاعم! يعني: طوال الوقت يقولون لهم: (هنا تخفيض وهنا تخفيض وهنا كل حتّى تشبع، وهنا افعل! وهنا أفطر! وهنا تسحّر!) فانتهى الأمر أنّ الإيمان

القليل الّذي جمعناه في النّهار يذهب! ثمّ لا تسل بعد ذلك ماذا سيحصل لاحقًا!

ولذا يكون الإنسان في النّهار عازمًا على الطّاعة، ولكن يأتي اللّيل يضعف قيامه، بسبب أنّ هناك أشياء سرّبت الإيمان، أنت الآن كأنّك تصبّين في قلبك، تصبّين، وبعد ذلك تفتحين فتحات تُسرّبين منها هذا الإيمان! بماذا؟! بأسباب القسوة، بالأسباب! فكأنّك تُخرجين الإيمان من الجهة الأخرى!

فالأمر واضح، ما يحتاج إلى شرح، كثرة الضّحك، كثرة الأكل، سيأتي بعدها السّبب الخامس: كثرة الذّنوب:

قال: (ومنها: كثرة الذنوب، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]. وفي المُسند، والترمذي عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ المؤمن إذا أذنب كانت نكتةٌ سوداء في قلبه، فإنْ تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ». قال الترمذي: صحيح.)

معنى ذلك: أنّ من أهمّ أسباب قسوة القلب: كثرة الذّنوب؛ كلّنا نفهم أنّ قسوة القلب تكون بسبب كثرة الذّنوب؛ والذّنوب بنفسها الإنسان

(١) المطففين: ١٤.

يقع فيها، **لكن هنا المقصد**: أنّ تتراكم الذّنوب بدون توبة ولا استغفار ولا عودة ولا أَوْبَة، **معناها**: أنّ الإنسان مُطْلِقٌ لنفسه الشّأن، يفعل ما يشاء، وليس هناك إنابة وليس هناك عودة إلى ربّ العالمين، لكن الشّيء الملاحظ أنّه آخر سبب، فجعل قبله كثرة الكلام، نقض العهد، كثرة الضّحك، كثرة الأكل، والسّبب في هذا: أنّ هذه الأربع السّابقة من الأمور الّتي قد اعتدنا عليها، وما نتصوّر أنّ لها علاقة بقسوة القلب، ومتصوّرين مباشرة أنّ الذّنب هو الّذي يقسّي القلب! لا! وإنّما العادات الّتي تعيش بها الحياة، الّتي فيها دليل على مطامعك في الدّنيا، وتعلّقك بها، هي الّتي تُسبّب أوّلًا قسوة القلب. أنت الآن في الدّنيا دار ممرّ، **المفترض**: أنّك لا تتكلّمين إلّا بما يُعْبَرُ بك الدّنيا، المفترض: أن يكون تفكيرك في العهد الّذي بينك وبين الله، أن يكون كما قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»[1]، لكن مع الجهل يصير الإنسان يبحث عن شيء يُضحّكه، لقلّة تصوّره هو في أيّ مكان، وقد كان السّلف يقولون: (المؤمن قويّ الإيمان في بيته كأنّه في البحر يمسك خشبة، يقول: اللّهمّ سلّم، اللّهمّ سلّم)، يريد أن يخرج من الدّنيا سالمًا؛ وإنّ كثرة الأكل من هذا.

المقصد: أنّ أهمّ أسباب قسوة القلب: العادات المتّبعة في الحياة، إذا لم تكن مناسبة للغاية، صارت سببًا لقسوة القلب، العادات، يعني:

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٤٧).

كلامك، اجتماعاتك، أكلك؛ بحيث يكون الإنسان فاهمًا هو يعيش من أجل ماذا؟ وكلّ هذا الّذي ذكرناه؛ من الفكر العلماني الّذي يجعل الحياة هي الهدف؛ يدخّل في قلوب النّاس عادات لا توافق الشّريعة؛ ثمّ إنّك أوّل ما تنصحين، أو تعظين، أو حتّى أحيانًا تقولين لنفسك، فيقول لك مباشرة: (لا تحرّموا ما أحلّ الله)! نعم، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾[1]، لكن لابدّ أن تعيشي هنا على أساس أنّ الدّنيا تمرّين عليها ولست تعيشين من أجلها؛ وهذا الفرق بين لين القلب، وقسوة القلب، وهي كأنّها دائرة، فكلّما أصبحت عاداتك أكثر قُربًا من الغاية، كلّما كان قلبك أكثر شعورًا بالغاية، وكلّما كان قلبك أكثر شعورًا بالغاية الّتي تعيشين فيها، كلّما أصلحت عاداتك على أساسها، تصلحين عادات يومك وليلتك على أساسها، أمّا أن يسهر النّاس ليلهم وينامون نهارهم، وبعد ذلك يريدون أن يجدوا قلوبهم طيّبة وأحسن ما يكون! لا! ليست هذه هي الطّريقة!

وأكرّر عليكنّ: لسنا هنا في النّقاش حول حكم الصّيام في هذه الحالة، لا نتكلّم حول لو نام طوال النّهار ما حكم صيامه؟ **نحن نقول**: إذا كنت تبحثين عن زيادة الإيمان، والمعبر إلى الرّحمن في خير حال؛ لابدّ أن تعرفي أنّ قلبك مهمّ؛ والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ما قال من صام رمضان، وقام رمضان؛ وإنّما قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا

(١) الأعراف: ٣٢.

وَاحْتِسَابًا... غُفِرَ لَهُ»[1]؛ فهذا الأجر مرتّب على هذا الشّرط الّذي هو زيادة الإيمان.

مزيلاتُ القسوة

سريعا نأتي للكلام المهمّ: مزيلات القسوة:

قال: (وأمَّا مزيلاتُ القسوة فمتعددة أيضًا: فمنها: كثرةُ ذكر الله الذي يتواطأ عليه القلب واللسان).

نحن مرّ معنا الكلام عن الذّكر وأهمّيّته، وكيف أنّ الذّكر ثلاث مراتب:

١. الذّكر باللّسان فقط.

٢. بالقلب فقط.

٣. بالقلب واللّسان: وهو أعلى مرتبة: وأعظم مرتبة تؤثّر في الفؤاد لأنّ الفؤاد سيكون كثير التّفكير، ثمّ يخرج الذّكر نتيجة التّفكير، **يعني**: الّذي سيقول: (الحمد لله)، سيكون كثير التّفكير في عظمة الله، في نِعَمِ الله، فبعد التّفكير سيقول (الحمد لله)؛ **إذًا**: هذا دلّ على أنّ قلبه ليّن لأنّه يفكّر. يفكّر في ذنوبه، وبعد ذلك يقول: (أستغفر الله)، فهذا دلّ على أنّ قلبه ليّن، يفكّر.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨١٧).

فإذًا: **أوّل طريقة وأهمّها**: الذّكر الّذي يتواطأ فيه القلب مع اللّسان. هذا ما أتاني بعد! ما تواطأ القلب مع اللّسان بعد! أكثري من ذكر الله بغضّ النظر عن تواطؤ القلب مع اللّسان، بمعنى: أنّك تذكرين، تذكرين، إلى أن تأتي تلك اللّحظة الّتي يتواطأ فيها القلب مع اللّسان، يعني: كأنّك تشحنين نفسك بالذّكر، إلى أن تأتي اللّحظة الّتي يتواطأ فيها القلب مع اللّسان.

هناك أدلّة كثيرة تدلّ على ذلك. دعنا: ننتقل للمسألة الثّانية، يعني: ذكر نصوصًا تدلّ على أنّ الذّكر يُسبّب لين القلب. سأترك النّصوص فهي واضحة، لو قرأتها ستتبيّن لك، وسننتقل للثّاني:

قال: (**ومنها**: الإحسان إلى اليتامى والمساكين).

ولذا النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كان في دعائه يدعو أنّ يحبّب الله إليه المساكين، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ»[1]، لماذا يرزقنا حبّ المساكين؟ لأنّ حبّ المساكين دليل على رقّة القلب، بمعنى: الإنسان حين يخرج من الفرديّة، من التّفكير في نفسه، من التّفكير في شهواته، من التّفكير في هواه، يخرج من الفرديّة، إلى المجتمع، إلى المسلمين، إلى العالم؛ هذا يدلّ على أنّ قلبه ليس طامعًا في الدّنيا، وليس قاسٍ عليها، فيتحسّس حاجات النّاس فيرقّ

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٠٦).

قلبه لها، لكن حين يكون الإنسان طامعًا، ماذا يفعل؟ يصمّ أذنيه، ويغطّي عينيه، وما يفكّر إلّا في شهوته، لكن حين يريد أن يحسن لليتامى والمساكين؛ سيخرج من شأن له، من شيء له، يكون هذا الجزء سيشتري به شيئًا لنفسه، أو لأبنائه، فيُؤْثِرُ اليتامى والمساكين عليه، فيكون في هذا دليل على رقّة القلب.

فمن أسباب رقّة القلب المُزيلة لقسوة القلب، أنّك تحملين نفسك على ذلك، تحمل نفسك على الذّكر، وبعد ذلك تحمل نفسك على أن تخرج من الأنانيّة، تحمل نفسك على أن تخرج من نفسك، لأنّك تكونين جمّعت، جمّعت من أجل أن تصلي إلى هذا الأمر، وتُبتلين بأحد يحتاج في تلك السّاعة، فيكون هذا اختبار صعب، لكنّ الله -عزّ وجلّ- يسدّد عباده؛ ولذا الأبرار في سورة الإنسان، يُخبر الله عن صفاتهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1].

أين هي زاوية الاختبار الّتي تُليّن القلب؟ أن يكون قلبك متعلّقًا، وبعد ذلك أنت تُخرّجين الجزء المتعلّقة به، فيلين القلب؛ فكأنّ التّعلق كان مُقسّيًا للقلب؛ إخراجه يسبّب لين القلب.

-سبحان من خلق القلب!- وبما أنّ هذه الإرشادات موجودة في الشّريعة؛ فإنّ ربّنا أعلم بنا. هذه الآن كانت الثّانية، الثّالثة:

---

(١) الإنسان: ٨.

قال: (ومنها: كثرة ذكر الموت).

وهذا أمر مشهور: (كثرة ذكر الموت)؛ لأنّه مرّة أخرى سيُذكّرنا إلى أين نحن ذاهبون، فقلب الإنسان سيلين لو عرف أين سيذهب؛ وذكر الموت هذا ليس وسواسيًا، وليس ذكرًا مرضيًّا.

أنا أؤكّد عليكنّ: لأنّ اليوم مع كثرة اختلاط المفاهيم على النّاس، صار ذكر الموت كأنّه وسواس يشلّ النّاس عن العمل! ما المقصود بكثرة ذكر الموت المسبّب للين القلب؟ ما المقصود من ذكر الموت الّذي يجعل الإنسان يغتنم الأوقات؟ مثل: لحين يأتي الإنسان يقول: (غدًا الاختبار النّهائي، فاليوم ماذا يجب أن أفعل؟ أغتنم الأوقات)، هكذا بالضّبط، طيلة الوقت يذكّر نفسه: (باقي ستّ ساعات على الاختبار، باقي خمس ساعات على الاختبار، باقي أربع ساعات على الاختبار) وكلّ فترة يفتح الكتاب، يقول: (من أجل أن لا يضيع الوقت، من أجل أن لا يفوتنا، من أجل أنّها آخر فرصة فلا تندم غدًا)؛ **فهذا هو المقصد:** ذكّري نفسك أنّه: (قريب، سينتهي الاختبار، ستأتي آخر ورقه في الاختبار، **فتُسألين**: (من ربّك؟ ما دينك؟ من نبيّك؟)، هل ذاكرت؟ هل درست؟ هل تعرّفت؟ هل علمت من هو الله؟ من أجل أن تجيبي حين تُسألين: (من ربّك؟)، تُجيبين جواب الثّابتين؛ لأنّه كما في الحديث المشهور أنّ الرّجل يُسأل في قبره فيجيب -الله يجعلنا جميعًا، وأحبابنا جميعًا، ممّن

يثبت عند هذا السّؤال- فيُجيب، فتسأله الملائكة سؤالًا رابعًا: «وَمَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ»[1]، فمعناها: أنّه كان يدرس، فلمّا درس كانت النّتيجة أنّه ينجح، فهو كلّ فترة يقول لنفسه: (بقي القليل، بقي القليل، بقيت ساعات معدودة، بقيت أيّامًا معدودة).

ما المقصود بكثرة ذكر الموت؟ ليس ذكرًا يشلّ الإنسان عن العمل؛ إنّما ذكرًا يزيد اجتهادًا في العمل؛ هذا هو الذّكر، وإلّا فإنّ غيره سيكون ذكرًا وسواسيًّا من الشّيطان، واليوم هناك ما يُسمّى بخوف الموت! فالخوف من الموت، أو الخوف من المرض؛ إنّما هذا مرض، النّاس يعالجون منه نفسيًّا! ولكن ليس هذا هو المقصود؛ وإنّما المقصود: ذكر للموت الّذي ينقلك إلى العمل.

فهذا كان السّبب الثّالث، نأتي إلى الرّابع في الصّفحة ١٩.

(زيارة القبور)، هي تابعة لذكر الموت، يعني: ممّا يذكّر بالموت (زيارة القبور)؛ وبالنّسبة لنا نحن النّساء فإنّ زيارة القبور ليست سببًا. سنأخذ السّبب الّذي في الصّفحة ١٩:

قال: (ومنها: النظرُ في ديار الهالكين، والاعتبار بمنازل الغابرين. روى ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار بإسناده: عن عمر بن سُليم

(١) المستدرك على الصحيحين (١٠٦).

الباهلي، عن أبي الوليد أنه قال: كان ابن عمر إذا أراد أنْ يتعاهد قلبه؛ يأتي الخَربة فيقف على بابها، فيُنادي بصوت حزين فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: كلُّ شيء هالكٌ إلا وجهه!)

موقف ابن عمر، معناه: أنّ هذا البيت كان معمورًا بأهله، ثمّ مات صاحبه، وتفرّق أهله، كان يمرّ عليه سابقًا معمورًا، والآن يمرّ عليه خاليًا، فيسأل: أين أهله؟ فهذا شيء لابدّ أن نتذكّره دائمًا؛ ونحن يمرّ علينا مواقف بمثل هذا، يعني: تموت هذه المرأة، ويموت هذا الرّجل، وكان له مكانه الخاص، وكانت أغراضه مُغلق عليها، ولا أحد يستطيع أن يفتح بابه، ولا أن يفتح دُرْجَه، ولا أن يفتح أموره، وكان من المحرّمات الدّخول إلى هذا المكان، فيموت وتُصبح الحِمَى مستباحة؛ فهذا يذكّر الإنسان أنّ هذا ليس مكانك، ليس هذا مكانك أبدًا، وهذا يساعده على أن يلين قلبه ويفهم أين المكان الّذي يجب عليه أن يعمّره.

فهذا السّبب واضح: (النظرُ في ديار الهالكين)، فالنظرُ في ديار الهالكين كأنّك تنظرين الآن في الوضع العامّ، وتنظرين: هذا كيف كان، وبعد ذلك كيف صار؟ كيف كان يملك وبعد ذلك أصبح لا يملك؟ كيف كان له منصب ثمّ لم يصبح له منصبًا؟! كيف كان عزيزًا ثمّ أصبح ذليلًا؟ هذا أمر يجب أن نفكّر فيه، فالّذي أزالهم، يزيل كلّ شيء.

يبقى علينا السّبب الأخير: قال: (ومنها: أكلُ الحلال).

فهذا من أهمّ أسباب لين القلب؛ ولذا لابدّ أن نهتمّ بتحري الحلال، أنت تكونين موظّفة، ومالك هذا تنفقين منه، فستتحرّين أن تعملي وتأخذين المال الحلال، لكن تصوّري: أنّك يُنفَق عليك، ماذا تصنعين؟ أكثري من الدّعاء والابتهال لربّ العالمين، أن لا تطعمين، ولا أهل بيتك يطعمون، إلّا حلالًا! لابدّ أن ندعوا، ونظهر لربّ العالمين أنّنا نخاف من الحرام، وليس همّنا أنّه: (هات! همّنا أنّه هات من الحلال، وإذا لم يكن حلالًا لا تُدخله علينا)، لأنّ أوّل أثر من لقمة الحرام قبل أن تقع في معدتك؛ يقع قسوتها في قلبك. وهذا شأن عظيم يجب أن نخافه.

لماذا تسبّب قسوة القلب أكل الحرام؟ لأنّه دليل على أنّ الإنسان فقط يريد هل من مزيد في الدّنيا ولا يقف عند حدود الله.

نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يليّن قلوبنا، ويجعلها مستعدّة لاستقبال هذا الشّهر الكريم، اللّهمّ آمين.

جزاكنّ الله خيرًا

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته